من تراث محيي الدين بن عربي

(١)

عنقاء مغرب

في ختم الأولياء وشمس المغرب

تأليف

سيدي محيي الدين بن عربي

رضي الله عنه

تحقيق وتعليق

بهنساوي أحمد السيد الشريف

مفتش عام الدعوة والإعلام الديني بالأزهر الشريف

عضو هيئة العلماء وعضو رابطة الأدباء

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف ت : ٥١٢٠٨٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

٩ درب الأتراك ـ خلف الجامع الازهر الشريف



وبه نستعين

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدًا يستوجب رضاه، وشكرًا له يوافى نعمه ويكافئ عطاياه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا حول ولا قوة إلا به، ولا أمل ولا رجاء إلا فيه، ولا توكل ولا اعتماد إلا عليه، ولا سعادة ولا طمأنينة إلا فى طاعته، هدانا للإسلام وما كنا لنهتدىَ لولا أن هدانا الله.

ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، الرحمة المهداة والنعمة المسداة والمنة الكبرى من الله على عباده (لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين).

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وعشيرته وحزبه الذين عاشوا على ما عاش عليه وقبضوا على ما رُفع إليه فرضى الله عنهم ورضوا عنه.

اللهم اجعلنا ممن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين آمين..

أما بعد:

فهذا كتاب من نوادر الكتب التى أنعم الله تبارك وتعالى به من فيوضات فتحه على عبده الربانى الذى استغرق فى الحقيقة المحمدية فأبرز لنا وللأمة جمعاء هذه المنح من مشكاة الحضرة المحمدية التى جمعت كل العلوم والمعارف الإلهية ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ وهذا العبد الربانى هو العارف بالله تعالى الإمام الأكبر والشيخ الكلى الكامل سيدى محيى الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن على بن محمد بن عربى الطائى الحاتمى الأندلسى رضوان الله تعالى عليه ونفعنا به وبعلومه آمين.

ولقد سمى كتابه هذا (عنقا مغرب فى ختم الأولياء وشمس المغرب) وهو كتاب يحاول فيه إبانة وإظهار التجلى الذاتى الإلهى فى الحقيقة المحمدية برأسيها وشقيها النبوى والولائى فعنده أن ذات النبوة واحدة والأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام رقائق هذه الذات الواحدة وهى ذات سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وكل رقيقة نبوية بدءًا من أبينا آدم عليه السلام حتى كلمة الله سيدنا عيسى عليه السلام ما هى إلا وجه نائب فى الزمن المراد مما سبق عن حضرته ﷺ ونفس هذه الذات المحمدية هى بعينها ذات الولاية فالأولياء جميعًا فى كل زمان ومكان وجوه محمدية لأن النبى محمد ﷺ حوى فى حقيقته مع ذات النبوة ذات الولاياة وتتمثل هذه الولاية فى ذات المهدى عليه السلام.

والمهدى عليه السلام هو ختم الولاية والأولياء فكما كان سيدنا محمد ﷺ ختمـا للنبوة والرسالة كان هو أيضًا عليه السلام ختما للولاية فى شقه الثانى من ذاته التى تمثلت حقيقة منفردة فى الولى الخاتم الصديق الأعظم الإمام المهدى الذى يواطئ اسمه اسم النبى ﷺ واسم أبيه يواطئ اسم والد سيدنا محمد ﷺ كما جاء فى الحديث الشريف الصحيح: ولقد بينت ذلك فى همزيتى الكبرى فقلت:

إلهى حمدًا يفوق الثناء ... وشكرًا يطاول نجم السماء

وصل إلهى طوال المدى ... على مصطفاك نبى الصفاء

وآل وصحب بكل الرضا ... ومن جاء بعد من الأولياء

خصوصًا ختامهمو المجتبى ... مليك الزمان بهى الرواء

فكل ولى أتى باسمه ... وعرفانه رشح هذا العطاء

له كل دائرة تنتهى ... بحكم قيادته الأتقياء

هو المهدى صاحب سر العلا ... عزيز القوى جوهرى البهاء

ولقد فصل الإمام الأكبر ابن عربى رضوان الله عليه تحقيقًا وكشفا النشأة الوجودية التى عينها ومحتد عينها ومحتد ذاتها الحضرة الإنسانية ومركز دائرتها الحقيقية المحمدية فهى عين عيون أعيان تعينات الوجود الكلى فهى النسخة التى تجلت بها الذات الإلهية العلية المقدسة ثم ضربت عليها حجاب المقتضيات العبدية.

فمـا الخلق إلا تجليات ذاته تبـارك وتعالى إجـمالا وتفصـيلا انبـثقت من ذات التجلى الكلى المحمدى وفى ذلك قلت:

ومـــا الخـلق إلا علـوم اصطـفـــاك — لهـــا عـند ذات وجـــه التـــقـــاء

ومــــــا هـى إلا تجلـى عــــــلاك — ضـربت عليـهـا حـجـاب اقـتـضـاء

تبـــاركـت يا أحـــسن الخـــالقين — عـن الخلـق طـراً بـكل عــــــلاء

فلو تصـورنا أن الحق الخالق جل وعـز قد خـلق الخلق من العدم لكان العـدم مصاحبًا له فى قدمه وذلك محال ولو كان قد أوجد الوجود من العدم لكان مفتقرًا لغيره، وهذا أيضًـا محال لكنه لما أراد أن يخلق الخلق على مقـتضى علمه وإرادته تجلى بنور ذاته وجعل التجلى هذا فى المجلى الإنسانى محمدًا ﷺ ثم فتق رتق هذا التجلى الذى ضـرب عليه حجاب المقتـضيات وأسمـاه «حمدًا» ومجلاه «مـحمدًا» عليه الصلاة والسلام فأوجد من هذا الرتق جميع أنماط الوجود الكلى كثافة ولطافة حسّاً ومعنى - علويا وسفليا، نورانيّاً وظلمـانيّـاً، دنيويّـاً وبرزخيا وأخرويا - ثم أقام كلاما فى تعينه الذى اقتضت حكمته تبارك وتعالى أن يقوم فيه ﴿لا يُسأل عما يفعل وهم يُسـألون﴾ وعلى المتأمل الكامل اليقين المبصـر بنور إيمانه أن يعايش هذه الأسرار الربانية المفاضـة من حضرات الإلهام بصحة مفهـوم ونقاء سريره فإن كلام الرجال لا يعرفه إلا الرجال.

فافهم ترشد ثم أطنب الإمام الأكبر محيى الدين بن عربى فى سرد الحقائق على ذات الولاية الكلية التى عين ومـركز دائرتها فى النسـخة المحمدية من حـيث وجه ذات الولاية «الإمام المهـدى عليه السلام» الذى يأتى آخـر الزمان إذا ملئت الأرض جورًا وظلمًـا فيـملأها عـدلا وقسطا كـما أخبـر بذلك جده صلى الله علـيه وآله وصحبه وسلم.

وتناول بعد ذلك مواقف كل حقـيقة على حدة فى موضعهـا من الكتاب مرمزة فى بعضها ومستورة فى بعضهـا الآخر حتى لا يفشى السر أمام من لا يعقل فينكر والكلام فى غـير أهله عـورة ولكن أوصى كل عـبد وقع فى يديه هذا الكتـاب أن يكون سالكا محمديا موفور العلم شريعة وحقيقة كامل التربية وهنا أقول:

من لى بذى حرفة فى النظم يسجعه ... وينشد الدر من لألاء عقيانى

فالسر لا يستبين العقل حكمته ... إلا بنور من العرفان ربانى

وما أردت من هذه المقدمة الموجودة فى بسط محكم إلا لأسهل على القارئ المحمدى الوارث تناول حقائق هذا الكتاب الفذ النادر فلا يعرف تلك الحقائق العلية إلا من كان محمديا كاملا، أخلاقه قرآنية، لا تغطى سحب الهوى صفاء سما إسلامه ولا تتراكم الفتن والعوارض القاطعة ببحار فلك إيمانه.

والله الموفق وهو يهدى السبيل

المحقق
الشيخ بهنساوى أحمد السيد الشريف
الشهير/ عبد الله البهنساوى
مفتش عام الدعوة والإعلام الدينى بالأزهر الشريف
عضو هيئة العلماء وعضو رابطة الأدباء

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم قال سيدنا وإمامنا وقدوتنا الشيخ الإمام العالم العارف الكامل المحقق المدقق محيى الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن على بن محمد بن العربى الطائى الحاتمى الأندلسى رضى الله عنه وأرضاه وحقق تابعيه بسلوك منهجه القويم إنه جواد كريم.

الدعاء المختوم على السر المكتوم:

حمدت إلهى والمقام عظيم ... فأبدى سرورًا والفؤاد كظيم
وما عجبى من فرحتى كيف قورنت ... بتبريح قلب حل فيه عظيم
ولكننى من كشف بحر وجوده ... عجبت لقلبى والحقائق هيم[1]
لذاك الذى أبدا من النور ظاهرًا ... على سدف الأجسام ليس يقيم
وما عجبى من نور جسمى وإنما ... عجبت لنور القلب كيف يريم
فإن كان من كشف ومشهد رؤية ... فنور تجليه عليه مقيم
تفطنت فاستر علة الأمر يا فتى ... فهل عقل خلق بالعليم عليم
تعالى وجود الذات عن نيل علمه ... به عند فصل والفصال قديم
فرافق ربى قد أتانى مخبرًا ... بتعيين ختم الأولياء كريم
فقلت وسر البيت صف لى مقامه ... فقال حكيما يصطفيه حكيم
فقلت يراه الختم فاشتد قائلاً ... إذا ما رآه الختم ليس يروم
فقلت وهل يبقى له الوقت عندما ... يراه نعم والأمر فيه جسيم
وللختم سر لم يزل كل عارف ... إليه إذا يسرى عليه يحوم
أشار إليه الترمذى بختمه ... ولم يبده والقلب منه سليم
وما ناله الصديق فى وقت كونه ... وشمس سما المغرب منه عديم

(١) الهيم معناها: فى غاية العطش

مـذاقـا ولكن الـعـقـول مشـاهد — إلى كل مـا يبـديه وهو كـتـوم
يغـار على الأسـرار أن تلحق الثـرى — وأن تمتطيـهـا الزهر وهى نجـوم
فـإن أبدرو أو أشمـسـوا فوق حـرثه — وكـان لـهم عنـد المقـام لزوم(١)
فـربما يـبـدو عليـهم شـهـودها — فـمنهم نجـوم للـهـدى وزحـوم
فـسبحـان من أخـفى عن العين ذاته — ونور تجليـهـا عليـه عـمـيم(٢)
لكـن أهل الـذم لا يدركـوا السـنا — وكـيف يرى طيب الحـياة سـقـيم(٣)
فأشخـاصنا خمس وخمس وخـمسة — عليـهـم ترى أمـر الوجـود يقـوم
ومن قـال إن الأربعـين نهـاية — فـهـو قـول يرتـضـيـه كليم
وإن شـئت أخـبـر عن ثمـان ولا تزد — طريـقـة أفـراد إليـه قـويم
فسبعـتهم فى الأرض لا يجهـلونها — وثـامنـهـم عنـد النجـوم لـزيم
فـعـذرًا فلو جـاء الزمـان وجـيـمـه — على فـاء مـدلول الكـرور يقـوم
مع السـبعـة الأعـلام والناس غـفل — عليـهم بتـدبيـر الأمـور حليم
وفى الروضـة الخـضـراء اسم عـداته — وصـاحـبـهـا بالمؤمنين رحـيم
ويختـص بالتـدبيـر من دون غـيـره — إذا فـاح زهرٌ أو أهب نسـيم
تراه إذا نـاواه فى الأمـر جـاهل — كـثـيـر الدعـاوى أو يـكيـد زنيم(٤)
فظـاهرة الإعـراض عنه وقلبـه — غـيـور عـلى الأمـر العـزيـز زهيم
إذا مـا بقى من يـومـه نصف سـاعـة — إلى سـاعة الأخرى وحـل صريم(٥)

---

(١) أبدروا: أى شهر بدرهم، أشمسوا: أى ظهرت شمسهم وهى كناية عن مقصوده أى زاد قربهم وعلمهم.
(٢) عميم: أى شملهم النور «نور التجلى» بالعلوم، والمراد من أفاض الله عليهم أنوار العرفان.
(٣) السنا: مقصود ضوء البروق
(٤) الزنيم: المستلحق فى قوم ليس منهم لا يحتاج إليه فكأنه فيهم زنمة، وهى شىء يكون للمعز فى أذنها كالقرط وهى أيضًا شىء يقطع من أذن العبيد ويترك معلقًا، وقوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ سورة القلم الآية ١٣.
(٥) الصريم: الليل المظلم، والصريم أيضا الصبح وهو من الأضداد، قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ سورة القلم الآية ٢٠.

فيهتز غصن العدل بعد سكونه ... ويحيا نبات الأرض وهو هشيم[١]

ويظهر عدل الله شرقا ومغربا ... وشخص إمام المؤمنين رميم[٢]

وثم صلاة الحق تترى على الذى ... به لم أزل فى حالتى أهيم

أما بعد:

حمداً لله الذى تقدم ... والصلاة التى ختم بها الحد وتمم

تدبر أيها الحبر اللبيب ... أموراً قالها الفطن المصيب

وحقق ما رمى لك من معان ... حواها لفظه العذب العجيب

ولا تنظره فى الأكوان تشقى ... ويتعب جسمك القد الغريب[٣]

إذا ما كنت نسختها فمالى ... أروم البعد والمغنى قريب

تبيين الغرض من هذا الكتاب:

كنا قد ألفنا كتاباً روحانياً وإنشاء ربانيـاً، سميناه «التدبيرات الإلهية فى إصلاح المملكة الإنسانية» تكلمنا فيه على أن الإنسان عالم صغير، مسلوخ من العالم الكبير، فكل ما ظهر فى الكون الأكبر، فهو فى هذا العين الأصغر ولم أتكلم فى تلك الأوراق على مضاهات الإنسان بالعلم على الإطلاق، ولكن على ما يقابله به من جهة الخلائق والتدبير، وبينت منه ما هو الكاتب والوزير، والقاضى العادل والأمناء والعاملون على الصدقات والسفر والسبب الذى جعل الحرب بين العقل والهوى، ورتبت فيه مقابلة الأعداء، ومتى يكون اللقاء ونصرته نصراً مؤزراً، وكونته أميراً مديراً، وأنشأت الملك وأقمت ببعض عالمه الحياة، وببعضهم الملك، وكمل الغرض، وآمن من كان فى قلبه مرض، وكنت نويت أن أجعل فيه ما أوضحه تارة وأخفيه، أين يكون من هذه النسخة الإنسانية والنشأة الروحانية مقام الإمام المهدى المنسوب إلى بيت بنى الماء والطين وأين يكون أيضًا منها ختم الأولياء

(١) الهشيم: من النبات اليابس المنكسر والشجرة البالية يأخذها الحاطب كيف شاء، والمقصود المتهشم البالى.

(٢) الرميم: أى البالى.

(٣) القد: الشق طولا، والقد أيضا القامة.

وطابع الأصفياء، وإذ الحاجة إلى معرفة هذين المقامين فى الإنسان، آكد من كل مضاهات أكوان الحدثان، لكنى خفت من نزعة العدو والشيطان أن يصرخ بى فى حضرة السلطان فيقول على ما لا أنويه وأحصل من أجله فى بيت التشويه فسترت الشاة بالعززان، صيانة لهذا الجسمان ثم رأيت ما أودع الحق من هذه الأسرار لديه، وتوكلت فى إبرازه عليه فجعلت هذا الكتاب لمعرفة هذين المقامين ومتى تكلمت على هذا فإنما أذكر العالمين ليستبين الأمر للسامع فى الكبير الذى يعرفه ويعقله ثم أضاهيه بسره المودع فى الإنسان الذى ينكره ويجهله فليس غرضى فى كل ما أصنف فى هذا الفن معرفة ما ظهر فى الكون وإنما الغرض تنبيه الغافل على ما وجد فى هذا العين الإنسانى والشخص الآدمى؛ فحقق نظرك أيها العاقل وتنبه أيها الغافل هل ينفعنى فى الآخرة كون السلطان عادلا أو جائرًا أو عالمًا أو حائرًا لا والله يا أخى حتى أنظر ذلك السلطان منى وإلى وأجعل عقلى إماما وأطلب منه الآداب الشرعية فى باطنى وظاهرى وأبايعه على إصلاح أولى وآخرى فمتى لم أجعل هذا نظرى هلكت ومتى أعرضت عن الاشتغال بالناس تمكنت من نجاتى وتملكت إذ وقد قال ﷺ يخاطب جميع أمته كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته[1] فقد أثبت ﷺ الإمامة لكل إنسان فى نفسه وجعله مطلوبًا بالحق فى عالم غيبه وحسه فإذا كان الأمر على هذا الحد ولزمنا الوفا بالعهد فمالنا نفرط فى سبيل النجاة ونقنع بأحط الدرجات ما هذا فعل من قال إنى عاقل ويتجنب هذه المعاقل فمتى ذكرت فى كتابى هذا أو فى غيره حادثًا من حوادث الأكوان فإنما غرضى أن أثبته فى سمع السامع وأقابله بمثله فى الإنسان فتصدق النظر فيه إلى ذاتنا الذى هو سبيل نجاتنا، فامشيه بكليته فى هذه النشأة الإنسانية على حسب ما يعطيه المقام إما جسمانية وإما روحانية، فإياك أن تتوهم أيها الأخ الشقيق أن غرضى من كتبى كلها الكلام فيما خرج عن ذاتى من غير أن تلحظ فيه سبيل نجاتى:

فما أبالى إذا نفسى تساعدنى ... على النجاة بمن قد فاز أو هلكا
فانظر إلى ملكك الأدنى ... إليك تجد فى كل شخص على أجزائه ملكا

---

(١) الحديث رواه البخارى فى صحيحه ٢/ ٦، ٣/ ١٩٦ ٤-٦ و٧-٣٤ و٤١، وأبو داود فى سننه كتاب الخراج باب ١، والترمذى (١٧٠٥). والإمام أحمد فى مسنده ٣/ ٥، ١١١، ١٢١.

وزنه بـالعـــدل شـــرعًـا كـل آونة   واسلك به خـلفـه مـن كل مـاسـلكا

ولا تكن مـاردًا تـسـعى لمفـسـدة   فى ملك ذاتك لكن فـيـه تكن ملكا[1]

فليتأمل ولى هذا الكتاب فـإنى أذكر فيه الأمرين العالم الأكبر وأجـعله كالقشر واجعل ما يقابله من الإنسان كاللباب للسبب الذى ذكرته أن يتبين للسامع ما يجهله فى الشىء الذى يعرفـه ويعقله، ولو وصل فهـمه إليه دون ذكـرى إياه، ما لحظت ساعة الحياة، ولا عرجت لمحة بارق على معناه، فإنما أسوقه مثالا للتقريب ومجالا للتـهذيب وسـأورد ذلك إن شـاء الله تعالى فى هـذا الكتاب من لآلئ الأصـداف ونواشئ الأعـراف التى هى أمـثـال نصبـهـا الحق للمـؤمنين والعـارفين حـبـالة صائد، وتحفة قاصد، وعبرة لبيب، وملاطفة حبيب.

*****

(١) والمقصـود أن العبد الربانى يكون مـهيمنًا على نفـسه وجوارحـه بقوة عزيمة إيمانه واسـتغراقـه فى طاعة الله تعالى.

بحر طامس وبحر غاطس

فيه لآلىء إشارات فى أصداف عبارات فمن ذلك مفتاح حجة وإيضاح لحجة ولما لم يتمكن القاصد إلى البيت العتيق أن يصل إليه حتى يقطع كل فج عميق ويترك الإلف والوطن ويهجر الخلة والفطن ويفارق الأهل والولد، ويستوحش فى سيره من كل أحد، حتى إذا وصل الميقات خرج من رق الأوقات وتجرد من مخيطه وخرج من تركيبه إلى بسيطه وأخذ يلبى من دعاه، فنسى ما كان من قبل ذلك وعاه، وصعد وقد لاح له علم هدى ودخل الحرم وحرم ولثم الحجر وقبل، تذر ميثاق الأزل وطاف بكعبته وأحاط بنشأته، هكذا فى جميع مناسكه يمشى على مسالكه فإن تجاوز المغنى ووقفه على حجة معنى ينشى فذلك هو الحاج الذى يتهنأ ولولا السآمة من قارئه لعرفتكم به منسكا منسكا إلى آخره: وابتدأت فى هذا الكتاب بنسكة الحج إذ معناه تكرار القصد إلى الواحد الفرد والقصد أول مقام لكل طالب سرآً ومحاول أمرًا وأنا أريد أن أوضح لك فى هذا الكتاب أسرارًا وأرسل سمائها عليك مدرارًا، فأوضحت لك أولا قصدى، وجعلته قصدًا شرعيآ، ومقامًا جمعيآ، فإنه إذا كان القصد بهذه المثابة وهو البداية، فما ظنك بالنهاية وأين من يقدر قدر الغاية ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[1] [الحج: ٧٤] وأما حمد نور شمس، وما يمد ذات نوره فألق السمع واشهد أجمع:

أقول وروح القدس تنفث فى النفس ... بأن وجود الحق فى العدد الخمس
أيا كعبة الأشهاد يا حرم الأنس ... ويا زمزم الآمال زم على النفس
سرى البيت نحو البيت يبغى وصاله ... وطهر بالتحقيق من دنس اللبس
فيا حسرتى يومًا ببطن محسر ... وقد دلنى الوادى على سفر الرجس
تجرعت بالجرعاء كأس ندامة ... على مشهد قد كان منى بالأمس
وما خفت بالخيف ارتحالى وإنما ... أخاف على ذا النفس من ظلمة الرمس

---

(١) وردت هذه الآية فى ثلاثة مواضع فى القرآن الكريم فى سورة الأنعام آية ٩١، سورة الحج آية ٧٤، سورة الزمر آية ٦٧

لمزدلفى الحجاج أعملت ناقتى ... لأنعم بالزلفى والحق بالجنس
جمعت بجمع بين صحبى وشاهدى ... بوترين لم أشهد به رتبة النفس
خللت الأمانى عند ما كنت فى منى ... وطوقتها فانظره بالطرد والعكس
خفى الجمرات اللعن فى رونق الضحى ... حصيت عدو الجهل فارتد فى نكس
صغيت على حكم الصفا عن حقيقتى ... فما أنا من عرب فصاح ولا فرس
ركنت إلى الركن اليمانى لأن فى ... استلام اليمانى اليمن فى جنة القدس
أقمت أناجى المقام[1] مهيمنًا ... تعالى عن التحديد بالفصل والجنس
فشاهدته فى بيعة الحجر الذى ... تسود من نكث العهود لدى اللمس
وبالحجر حجرات الوجود ركونه ... على فلا يغدو الزمان ولا يمسى
وفى عرفات قال لى تعرف الذى ... تشاهده بين المهابة والأنس
فلما قضيت الحج أعلمتن منشدًا ... بسيرى بين الجهر للذات والهمس
سفينة إحساس ركبت فلم تزل ... تسيرها أرواح أفكاره الخرس
فلما غدت بحر الوجود وعاينتَ ... بسيف النهى من جل عن رتبة الأنس
دعانى به جسدى فلبيت طائعًا ... تأمل فهذا الفتح فوق جنى الغرس
فعاينت موجودًا بلا عين مبصر ... وسرح عينى فانطلقت عن الحبس
فكنت كموسى حين قال لربه ... أريد أرى ذاتًا تعالت عن الحس[2]
فدك الجبال الراسيات جلاله ... وغيب موسى فاختفى العرش فى الكرسى

---

(١) قال تعالى ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ أى مقامه الولائى الذى وصل إليه.

(٢) قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٤].
رغم إشارته إلى الآية الكريمة إلا أنه اراد شهود التجلى الإلهى فى مقام الربوبية عليه من حضرة اسمه تعالى الولى شهود قلب وامتلاء.

وكنت كــخــفــاش أراد تمتــعًــا بشمس الضحى فانهرت من هيبة الشمس
فــــلا ذاتــه أبقــى ولا أدرك المنــى وعود فى الأمـوات جسـما بلا نفس
ولكننــى أدعــو على القــرب والنوى بلا كـيف بالبـعل للكريم وبالعـرس

فمن لم يكن قصده على هذه المحجـة ولم تصح له هذه الحجة، ويطلب العين فهو فى حضرة الغين فاسلك يا أخى على هذا الطريق، وقل الرفيق حتى تتصل به من غير انفصــال، وتفصل عنه من غير اتصال، وتكون ظلالك تسجـد له سبحانه بالغدو والآصال.

ومن ذلك تنزل روح أمين بإشراق صبح مبـين، ولما هزم الصبح جيوش الليل، وأوجف عليـه بسوابق الخـيل وحصل الجـسم والدسم فى قبـضة العـين والاسم، وأعتقه من رق كونه، وألبسه رجاء صوبه، ومنحه مساعدة عينه، فى أى جهة كان من ابنه، عند ذلك سـألنى رجل من أهل تبـريز وممن يقول بدولة العـزيز، وينكر سقوط التمييز، عن أسرار أشراط الساعـة، وأماراتها وحقائقها وإشاراتها من طلوع شمس من مـغربها، وروحانيـة مقصدهـا ومذهبها وإغـلاق باب توبة، وإبقاء زلة وحوبة، ونفخ دابة ونزول مسـيح وخسف جيش تهامة فيح وملحـمة عظمى وفتح مدينة كبرى بتكبير وتهليل على مقتضى السنة لا بالمرهفات البيض ولا بزرق الأسنة وختم ولاية وروضة خضـراء، وسر نبوة ومحجة بيضاء ومن خـرج من مقامه إلى مقام الذل، فـصح له به المشرق الأكمل، وخروج دجال لا يعى، وقـتيل له يموت ويحـيا، وقال لـى أريد منكم أن تبينوا لى إلى أين أسـرار هذه الأكوان فى نـشأة الإنسان، فإنى أريد أن أجعلك لشيطانى شهابًا رصدًا، وأتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدًا، فـقلت له وأين فتاك وقوتـك، وهل اتخذ إلى البحر سـربًا حوتك فقال لولا ما اتخذ حوتى سربًا ما وجدت لك سببًا، ولولا قتائى ما حملت غذائى فقلت له سـتلحق بمقامك وتتـأخر وإذا وقع ذلك حـينئذ تعثـر، ثم قلت له وهل نسيت الحوت فارتددت قصـصا على أثرك لتعرف حقيقة خـبرك فقال كل ذلك قد كـان فلقد تعب من أخـذ عليـه من الأكوان قلت لـه وبشرك الحق بأنى صـاحب الرحمة والعلم فابشـر بأنك صاحب الغلظة والدم، لأنه فى العين وأنت فى الكم، فأنت فى ملكك رئيس، وفى سجن عالم شـهادتك حبيس، وأنا فى ملكوت علق

نفيس وصاحب صنعه لبوس، فقال له إنى أتيتك قاصدًا فعلمنى مما علمت رشدًا فقلت:

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٧، ٦٨، ٦٩] فقلت: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠].

وصف حال بعد حل وترحال ثم قلت له يا سيدى صان الله أنوار شيبتك وحفظ متاع غيبتك أريد أن أعرفك قصتى تكون لك سلمًا إلى منصتى عسى يقل إنكارك ويحسّن إن وقع منك اعتذارك فإن الذى سألت عنه من هذه الأسرار المصونة من ملاحظة الأنوار فكيف بعالم الأفكار لا يصلح فى كل وقت إفشاؤها، ولا يصح بأى نفخ كان بعثها وأحياؤها فإن نبأها عظيم، وشيطان منكرها أليم وإن كان بعض ما سألتنى عنه لم أعرج عليه ولا طلبت منه، فإن الطريق الذى سلكت عليه والمقام الذى طلبت وانفردت إليه الذى هو مقام فردانية ونفى الكثرة والعدد لا يصلح معه التصريح على كون ولا يقبل منه إلا تحققه عين ولما لم تتعلق بحوادث الكون همتى ولا تشوقت إليها كلمتى كان الحق سبحانه وتعالى وجهتى ونزهتى عن ملاحظة جهتى فكنت لا أشهد أينا فكيف أبصر كونًا.

حكمة تعليم من عالم حكيم، ثم لما رأيت السائل عن تلك الأسرار، تحركه دواعى الأفكار أعرضت عنه إعراض متعلم ناصح، وصرفت وجهى وجهة الحق الذى بيده المفاتح من جهة المقام الذى يعقله وسددت الباب الذى ينكره ويجهله حتى يتمكن فى مقام السمع ويتحقق بحقيقة من حقائق الجمع، وقمت إلى الحق ملبيا وله مناجيا أعد على سوابغ نعمه وأسمع السائل سرائر حكمه وكأنى لا أقصده بذلك تعظيما وهكذا يفعل من صيره الحق حكيما فإن البيوت لا تؤتى إلا من أبوابها والملك على أرجائها ولا يدخل عليها إلا بإذن حجابها وذلك أنى إن بديت له الأسرار كفاحا وجعل قبله لذلك سراً خاص، فسرح فى عالم التجسيم سر فكره، واستوى على قلبه سلطان فكره فصير نوره نارًا وقراره بوارًا فالحكيم المطلق إذا أخذ من هذه صفته فى مناشدة الحق، وأعرض عن جميع الخلق بهره المقام، فقطع الأوهام، وغاب عن الأجسام، واستسلم أى استسلام، ووقعت النكة

فى قلبه، فقادته إلى معرفة ذاته وربه، فأعرضت عنه لهذه الحكمة وأنشدت وبحثت ببعض ما وجدت تعلمه فيه، أن السلوك يجذب الحق ودواعيه، ويرد سبحانه بالعبد ويجفيه، فاعله يتنبه ويعيه:

قلبى بذكرك مسرور ومحزون ... لما تملكه لمح وتلوين
فلو ارتقت لسماء الكشف همته ... لما تملكه وجد وتكوين
لكنه حاد عن قصد السبيل فلم ... يظفر به فهو بين الخلق مسكين
حتى دعته من الأشواق داعية ... أضحى به وهو مغبوط ومفتون
وأبرقت فى نواحى الجو بارقة ... همت لها نحو قلبى سحبها الجون[1]
فالسحب سارية والريح دارية ... والبرق مختطف والماء مسنون
وأخرجت كل ما تحويه من حسن ... أرض الجسوم وفاح الهند والصين

فلما سمع السائل وصف حالته وسجت بدر سره فى دارة هالته وتنبه لما أخفى فيه لما أخفى فيه، وأبرزت له نبذة من معانيه، ورأيته قد أصغى إليَّ بكليته وخرج من ملاحظة نفسيته صرفت وجهى إليه وهو، فإن فيما أوردته متعطش للزيادة مما أنشدته وطلب منى الزيادة بحله فزدته:

فما ترى فوق أرض الجسم مرقبة ... إلا وفيها من النور تزيين
فكلما لاح فى الأجسام من بدع ... وفى السرائر معلوم وموزون
والقلب يلتذ فى تقليب مشهده ... بكل وجه من التزيين ضنين
والجسم فلك ببحر الجود تزعجه ... ريح من الغرب بالأسرار مشحون
وراكب الفلك ما دامت تسيره ... ريح الشريعة محفوظ وميمون
ألقى الرئيس إلى التوحيد مقدمه ... وله عليه من الأملاء تأمين
فلو تراه وريح الشوق تزعجه ... تجرى وما فيه تحريك وتسكين

---

(١) الجون: الكثيفة غزيرة الأمطار.

إن الأوائل فى الإنسان مودعة نور ونار وطين فيه مسنون
وأودع الوصل ما بينى على كثب[١] وبين ذلى مفروض ومسنون
فالسر بالله من خلفى ومن خلفى إذا تحققت موصول وممنون
يقول فى القلب روح الحق فاعتبروا فإن قلب كتاب الله ياسين[٢]
من بعد ما قد أتى من قبل نفخته علىّ من دهره فى نشأتى حين
لا يعرف الملك المعصوم ما سببى ولا العيون الذى تبكيه تبين
لما تسترت عن صلصال مملكتى أخفانى عن علمه فى عينه الطين
فكان يحجبه عنى وعن صفتى غيم العمى وأنا فى الغيب مخزون
فعندما قمت فيه صار مفتخراً يمشى الهوينا وفى أعطافه لين
لما سرى القلب للأعلى وجاز على عدن وغازله حوراتها العين
غض الجفون ولم يثنى العنان لها لما مضى عن هواه الفرض والدين[٣]
فعندما قام فوق العرش بايعه اللوح والقلم العلام والنون
فلو تراه وقد أخفى حقيقته فإن فوق استواء الحق تمكين
فإن تجلى إلى كون بحكمته له على ظهر ذات الكون تعيين
فلا يزال لمزج الملقيات به يقول للكائنات فى وجه الورى كونوا
فكل قلب سهى عن سر حكمته فى كل كون فذاك القلب مغبون
فاعلم بأنك لا تدرى الإله إذا ما لم يكن قبل يرموك وصفين
فاعرف إلهك من قبل الممات فإن تمت أنت على التقليد مسجون
وإن تجليت فى شرقى مشهده علما تنزل فيك العال والدون

(١) المقصود القرب.
(٢) روى الترمذى فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شىء قلبًا وقلب القرآن يسن».
(٣) والمعنى أبعد نظره عن رؤيتهن.

ولاح فى كل مـا يخـفى ويظهـره   من التكاليف تقـبـيح وتحـسـين
فـافـهم فـديتك سـر الله فـيك ولا   تظهـره فـهـو عن الأغـيـار مكنون
وغـر عليـه وصنه مـا حـيـيت به   فـالسـر مـيت بقلب الحـر مـدفـون

فلمـا سمع منتهـى القلوب، ووقف على شرف الغـيوب ورأى ما حـوته هذه المملكة الإنسانية من الصفات الربانية والأسرار الروحانية، جثى على ركبته وانسلخ عن ظلمته، وقـال إنى أكتم السر فأوضح الأمر فـقد زال النكران، وطرد الشيطان بعناية الرحمن.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجـر: ٤٢] وصف الخيـر فإنى أسلم وعلمنى فـإنى أتعلم، قلت: فلم أزل بهـذا المشـهد السنـى والمقام العلى، أغـدو وأروح، فى غبوق وصـبوح إلى أن تمكن الأمر لدى وحصلت مفـاتيح التوقى بين يدى، فلما أن اتصفت بهذا التحصيل، وهيأنى الحق للتقديم، ورشحنى للتفصيل، علمت أنه تعالى يريد رجوعى إلى عـالم الشهادة، فقبلته علـى شرط الإبقاء الحال وزيادة، إذ لا دليل قـاطع بوجـود نهـاية، ولا تحقق لأحـد بغـاية، إذ هو القـائل سبحانه قول تنزيه وتمجيد:

﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٤٥] فحصل للمتصف بهذا المقام نفوذ إرادته فى ملكه، وزيادة ما لم تتصف الهمة بدركه فتعود إرادته فى قوله: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ [المائدة: ٥٢] لكان شرط الوفاء بعهـده والزيادة فى تتميم الآية بقوله سبحانه ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ [المائدة: ٥٢] فعند انصرافه من غير مفارقة الرفيق إلى عالم الترفـيع والتلفيق، تلقتنى حوادث الأكوان فـى الطريق فعند ذلك عرفت من الحادثات الآنيـة والآتية مـا شهدته وعلمت مـن الكائنات الطوية والسفليـة ما وجدته وأنا الآن من ذلك الوقت إلى حين هلكتى وافـتراق ملكتى فى تلك الرجعة المشهدية بتلك الصـفة الأحدية، ومن ذلك هدهد أمين جاء بنبأ يقـين، وقد تجسد بثلاثة أنوار وأغطيته أسرار وممن سلم على ممن أفقه، وأظهر لى بعض خلقه كوكب الأفول فى رد إلفه وقمرا بازغا فى حلة الهداية المشـرقة، فأعطى كل نور حقيقته،

وأوضح لنا طريقته، ثم تلاهما الشـمس الأكبر والنور الأزهر، الذى يجلو السدف وينيـر الغرف ويزيل الكلف وهو التـجلى المثـالى، «والنور الإرسالى، فـسلم إلى مغرب الغمى حتى يصل الأجل المسمى» فإذا دنا الأجل واقترب من طلع هاديا من حيث غـرب، وهذا هو شمـس التوجيـه، ومقـام التنزيه بأقوالـه يزول الإشراك، وتنحل عقد الإشـراك، فيفلت صيدها ويرتفع كيـدها، وهذا لأقول كله على قسم لذى عينين فإن جعل أفوالها فى قلبه، فـهو على نور من ربه فى عالم غيبه، فبقى له نور قـربه، ويكون له نور على نور وسرور وارد على سـرور، وأن أظلم المحل الأضواء عند أفـولها، فهـو معرى من صـفات مقـيلها، قد غـرق فى بحر الذات الأقدسية متجردًا عن أثواب صفاتها المعنوية، فانظر إلى هذا السر السنى ما أعجبه، وإلى هذا الذوق الشهى ما أعجبه وأعذبه وبقـيت مع هذا النور الشمسى فى مقامه الأقدسى أناجيـه أعواما وليالى قـمرية، وأياما، وقد أوضح الله لنا العـلامة، بأنه خاتم الإمامة أعنى الإمـامة المحمدية الجزئية، لا الإمامة المطلقـة الكلية، فمن فهم فليعلم، ومن جهل فليقرع الباب وليلزم، مـا دام هذا النور ثابتا فى أفقه قبل أفوله فى حقه، فحققت ما لديه، وعلمت ما جعل الحق من الأسرار فى يديه ومن ذلك رحيق مختوم مزاجه تسنيم، إلى أن دخل عام خمسة وتسعين نصف اليوم، وانجلى عن الشـمس ظلام الغيم وأنـا على حالتى فى رجـوعى المذكـور بعلمى المشهـور وعلمى المستـور، فى غلائل النور وإنما كـان هذا الرحيق بالمسك مـختومًـا، وكان مزاجه تسـنيما لأنه تابع متـبوع وسامع مسـموع، وستأتى الإشارة إليـه من بعد، ويكون له الوعـد والوعيـد فلما دخل العـام المذكور، ومـضت منه ثلاثة شـهور، تلقانى عند فراقـى لهذه الشمس المغربية، وتركى لهـا فى العصابة البشـرية، الختم برحيقه، وأوضح لى التسنيم مزاج طريقـه، فرأيت ختم أولياء الله حق، فى مقعد الإمامة الإحاطية والصدق فكشف لى عن سر محتده وأمر بتقبيل يده ورأيته متدليا على الصديق والفاروق متدانيًا من الصادق المصدوق، محاذيا له من جهة الأذن قد ألقى السـمع لتلقى الإذن ولو تقدمـه منشور، وخـاتماه نور على نور، فكان له فى ذلك الجمع الطهور ومن عـداه فيه كلابس ثوبى زور، والشمس اليقيـنية قد قبلت يده مثلى ولحظتها، فقال الخـتم هى من أهلى، ثم نازعنى الحديث، وتقتيًا بالقديم

والحديث والساقى يحب المدامة، ويبدأ بساق عرش الإمامة وهو ينعطف على عطفه نشوان ويغازلنى مغازلة هيمان ويقول ردنى برداء الكتم، فإنى أنا الختم الأول بعدى ولا حامل لعهدى، بفقدى تذهب الدول، وتلتحق الأخريات بالأول:

وكـــان مـــا كـــان مما لـست أذكـــره فظن خـيـرًا ولا تسـأل عن الخـبـر

ولما تناجت القلوب بأسرارها وطلعت شموس الغيوب من سماء أنوارها، وأخذ المجلس حده ودخل أبو العباس وصاحبه عنده انصرفت متحققًا بما عرفت ولم تبق نكتة نادرة إلا على باب حضـرتى واردة وصادرة، ولولا عـهد الغـيرة مـا أخذ، ودخيل إلا فـشا الذى نبـذ لأبرزناه لكم فى حلته وبيـته ولكن سأجـعله لكم وراء كنيته، فمن اجترى ورفع ستره، رأى سيره، وهكذا فعله فى شمس غربنا، أظهرها لكم من وراء قلبنا فى حجاب غيبنا، فـمن كان ذا كشف علوى، وحزم قوى شق عن قلبى حتى يرى فيـه شمس ذلى، فمن امتطا عتـيق الإفشاء طلب ولحق، ومن نزل عن متنه إلى ذلول الكتم نجا والتحق إلا إن كان كـما أفعله وفعله من قبلى من خفى رمز، ودرج مـعنى فى معمى ولغز، ومن ذلك البحر المتـقدم المذكور أرخَى الستـور على البدور، ولما دخل شـهر ميـلاد النبى محمـد ﷺ بعث إلى سبـحانه رسـول الإلهام وهو الـوحى الذى أبقاه علـينا، والخطاب الذى جـعل منه إلينا ثم أردفه بميـسرة ساطعـة فى روضة يانعة، يأمـرنى فيها بوضـع هذا الكتاب المكنون، والسر المصـون المخزون وسـمياه لى بكتـاب الكشف والكتم، فى معـرفة الخليـفة والختم، فراجـعت الملك فى هذه العلامة، فقال أيها الفـتى، ثم عاد إلى وما رحل وفرش المحل الأقدس ونزل، وقـال الحضرة قد سمـيته بكتاب سـدرة المنتهى وسر الأنبياء فى معـرفة الخليفة وختم الأولياء فقلت إنى لا أجد فى نفـسى لهذه السمة نكتة، فلا تعجل على ولا تأخذنى بغتة فقال إنى أستحى، فقلت ربى الذى يميت ويحيى فلما كان يوم الجمعة والخطيب على أعواده يدعو قلوب أولياء الله وعباده إذ وجدت برد كف الجذب من حـضرة القرب فتلقيت فى الغـفلة الكلمات، وتوفرت دواعى القثب لما يـرد عليه من النسمـات، فإذا الخطاب الأنفس من المقـام الأقدس هل تقنع أيها الخطيب المغرب والمنتقد المعجب:

(بعنقاء مغرب فى معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب) ونكتة سر الشفافى القرن اللاحق بقرن المصطفى وصل وهذه الإشارات كلها راجعة إلى النسخة الصغرى لا إلى النسخة الكبرى فقد بينت لك آنفًا أنه لا فائدة فى معرفة ما خرج عن ذاتك إلا أن يتعلق به سبيل نجاتك، فشمس المغرب ما طلع فى عالم عيبك من أقوال العلوم وتجلى إلى قلبك من أسرار الخصوص والعموم كما أن الختم ما ختم به على مقامك عند منتهى مقامك وكذلك إذا كنت فى زمانك الخاص بك بين إخوانك على ما كان عليه من تقدم من صحابه النبى ﷺ من العمل السنى والتجلى العلى فقد لحق زمانك بزمانهم وصرت من جملة أقرانهم ومن ذلك رفع ستر ومجاهدة فكر لما نص ما ذكرته وورد على بما سطرته قال هل رأيت يا محمد هذه الإشارة فى تأخر الوزارة عن الأمير فى وقت الإمارة لولا خلافة الصديق لرجع الناس عن الطريق لعدم الكشف ومعرفة الصرف وهل الخليفة إلا بعد ثبوت المستخلف ولهذا توقف المجادل المتعسف قل له يا محمد هيهات يا إنسان لابد من كونه فكأنه قد كان ولكنه غير موجود فى عالم التغيير والحدثان وإنما الحكمة أخرته لسر أضمرته سيظهر ذلك السر فى أوانه وحول زمانه، فشمس المغرب دون رتبة الصديق فعليك بالكتم كما إن صلوا من دون تمت لواء الختم.

وذلك أن أنوار الغيوب الساطعة فى القلوب التى كنينا عنها قد ينالها من ليس بصديق أكبر ولا له ذلك الأخطر الأزهر بل قد ينالها الممكور به المستدرج المغبون، وسر هذا فى قوله ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢] والصديقية لا ينالها إلا أهل الولاية ومن كان له عند الله أزلا سابق عناية وهى السبيل فى نجاة من اتصف بها وتذهب بمذهبها فلهذا جعلنا الشمس دونها وإليها ركونها كما أن الختم فوق رتبة الصديق إذا كان الممهد للطريق الذى مشى عليه عتيق[1]، فالختم نبوى المحتد علوى المشهد فلهذا جعلناه فوق الصديق كما جعله الحق فإنه أخذ نوره من مشكاة النبوة أكبر ممن أخذه من مشكاة الصديقية فبين التابع والصاحب ما بين الشاهد والغائب ولما صح أن الختم متقدم الجماعة يوم قيام الساعة ثبت أن له

(١) عتيق: لقب من ألقاب الصديق الأكبر سيدنا أبو بكر لأنه بشر بعتقه من النار، ولوسامة وجهه الطلق السمح بوضاءة الخَلق والخُلق والإيمان.

حشـرين وأنه صاحب الختمين ويشـركه ذو الأجنحة فى حـشرته، وينفـرد الختم بخاتمته، وذو الأجنحة فى الإنسان من غلبت عليه الروحانية، والتحق بتطهير نفسه بالرتبة الملكية ولا دفاع عندنا فى هذا المقام ولا نزاع، وعلى قدر ارتقائه فيها يكون مع صاحب مثنـى أو رباع فإن كل أمين الأرواح فيكون له سـتمائة جناح[١]، ولا حرج عليه فى ذلك ولا جناح، وإنما سـميناه خاتمًا، وجعلناه على الأولياء حـاكما لأنه يأتى يوم القيامـة وفى يده اليمنى، محل الملك الأسنى خاتم مثالـى جسمانى وفى يده اليسـرى محل الإمام الأسرى بخاتم نـزالى روحانى، وقد انتشر بـاليسار باليـمين فى زمرة أهل التـعيـين وقد انتـشر بـاليسـار مع أهل التمكين، خـصص بعلمين، وخـوطب باسمين، فتفطـن أيها اللبيب لهذه الأسرار واسـعَ لضياء هذه الأنوار، ومن ذلك رهن إغلاق أخذ مـيثاق، ولما سمعت ما ذكره وأظهـر لعينى ما كان قبل ذلك عزم على فى تقـييد هذه النبذ الأقدسية وأخـذ على العهد أن آخذها من غلائلها[٢] السندسية حتى لا تتبسم عن اغـريض ولا يظهر ببرقها وميض وقال أهو رهن بيدك وقد علق فلا تبتئس فامسك عليه ولا تخـرجه فتعتلس فتوجه الأمر عند ذلك فى إفشاء هذا السر المكتوم والكتاب المختوم بالتعريض لا تصريح وإعلام تنبيه وتلويح، ولما تلقيت منه الأمر على هذا بالحدود دخلت تحت هذا العقد لزمنى الوفاء بالعهد فأنا الآن أبدى وأعرض تارة وإياك أعنى فاسمعى يا جارة وكيف أبوح بسره وأبدى مكنون أمره وأنا الموصى به غيرى فى غـير ما موضع من نظمى ونثرى نبه على السر ولا تفشـه فالبوح بالسر له مقت على الذى يبديه، فاصـبر له واكتمه حتى يصل الوقت، فمن كان ذا قلب وفطنة، شغله طلب الحكمة عن البطنة فوقف على ما رمـزناه وفك المعنى[٣] الذى لغزنـاه ولولا الأمر الإلهى لشافـهنا به الوارد والصادر، وجعلنا قـوة المقيم وزاد المسافر ولكن قد جف الـقلم بما سبق فى القدم

---

(١) قال تعالى: ﴿الحمـد لله فاطر السموات والأرض جـاعل الملائكة رسلا أولى أجنحـة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشـاء إن الله على كل شىء قدير﴾ وقوله تعالى ﴿أولى أجنحة مـثنى وثلاث ورباع﴾ أى يطيرون بها ليبلغوا مـا أمروا به سريعًا ومنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعـة ومنهم من له أكثر من ذلك كما جـاء فى الحديث أن رسول الله ﷺ رأى جبـريل عليه السلام ليلة الإسراء وله سـتمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب، روى فى كثير من المسانيد والحديث صحيح.

(٢) الغلائل جمع غلالة، وهو ما يغلق به الشىء والشىء المكنون والمراد من مكنون سر الله تبارك تعالى.

(٣) بالأصل «المعمى».

فما أشـرف الإنسان حيث جـعله الله محل روحانية هذه الأكـوان، فلقد أبدع الله سلخه حين أوجده وأكمل نسخه، والله الكفيل.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل:٩] ، ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل:٩] ومن ذلك موقف اختصاص ونتـيجة إخلاص ولما كان هذا الأمر يدخله الصدق والمين، ولو كان عند قـائله عن مشهدة عين، لما كـان يقطع بصدق السامع إلا إن تأيد ذلك الخبر بإعجاز قاطع أو نور حسن ظن بقلبه ساطع ولهذا قال الإمام أبو يزيد لموسى الديلى إن المؤمن بكلام أهل هذه الطريقة مجاب الدعوة عند العلى فقد حـصل للمؤمن الصديق الاشتراك مع الصـادق بطريق حسن الظن لا بالدلائل الخوارق ولما كـان الأمر عند الخلق بهـذه النسبة، وحـجبوا عن مـاله عند الله من عظيم النصبة، أخفـيناه عنهم رحمة بهم، وجزينا معهم على مذهبـهم فما أظهرت النبوة للجمهـور إلا قدر حمل عقولهم خوفا من نفورهم عنه وذهولهـم فيقعوا فى تكذيب المخبر الصادق فتحل بهم لذلـك مثلات العوائق ثم جرى على هذا المهيع السلف الصالح من الصحابة ونزلوا من مقام الهيـبة إلى مقام المزاح والدعابة اقتداء بمن مازح الشيخ وذاته الـتغير بما ظهره مـوهم وباطنه خير وتستـروا بالمعاملات فى الظواهر وتكتـموا بما حـصل لهم من العلم المصـون والسرائر وإن كـان قد نبـهوا رضوان الله عليهـم على أمور ليست عند الجمـهور وخوطبوا بهـا من وراء الستور فقـال أبو هريرة: لو أفشـيته لقطع منـى هذا البلعوم وقال ابن عـباس: لو فـسرته لكنت فيكم الكافر المرجوم، لما رأوا أن حقائق الغيوب، فوق مراتب بعض القلوب فأخذوا الأمـر من فوق معرفـة مشاهدة وذوق ورثاء نبويا مـحفوظًا ومقـاما علويا ملحوظا إذا سار فى أبنائه، لما لقاه فى ليلة إسرائه من تحصـيل علم أخذ عليه كتمه لما عسر على غيـره فهمه، ولما كانت هذه العلوم التى أنا واضعـها فى هذا المجموع وأشاهد من هذا القبيل، ومتلقاه من مشكاة هذا الجيل ومما لا يصح إلا بعد مفارقة جبريل، وكل صنف على الملأ الأعلى وقبـيل لم يصح عندنا إذاعتها، ولا أن نرفع حجابـها فتكشف سريرتهـا فكلما أبرزناه لعين الناقـد البصير إنما هو من تلـقيات الروح الأمين ومن سدرة المنتـهى للسالكين، وبعض تلقيات التـعين والتمكين من

حضرة المناجاة بلـغة الأنس لإزالة سطوة الهيبة ونزول رحمة الإنـس، فأظهر منها على قدر أبصـار الناظرين، فمنهم من فـهم وسلم ومنهم من جال بها فى مـيدان المناظرين، ومن ذلك موج مـجرد مجنون تجـرد عنه لؤلؤ مكنون، ولما توالت على الأسرار وسطعت من جمـيع مسام نشأتى أشعة الأنوار اغتـسلت بالماء القراح لسد المسام، فانعكـست الأنوار إلى محل الإلهام فتفـجرت جداولها وأنهـارها، واشتد الريح الغربى فتموجت بحارها فـدخل الموج بعضه على بعض وأسرع إلى ما أبرمه المبرم بالحل والنقض فلا تبصر إلا سحابًا مركومًا،وموجًا مجنونًا.

﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور: ٤٠].

حق ما بقى على ظهر هذا البحر فـلك يجرى ولا ظهر فى جو فلك يسرى إلى أن لطف المغيث سبحانه فسكن من الريح ما اشتد وكثر الموج بالساحل وامتد فرمى بزبده على سفينة زبد مخض لوضيع الوقت وشريف ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠] وحققوا طريقهم ومـذهبهم، فذاك الزبد قدر ما خرج من بحر قلوب العارفين على ظواهرهم إلى الخلق ولا يعرف قدره إلا صاحب ذوق، وهذا الكتاب المحفوظ من طوارق العلل والمسمى فى غيابات الأزل، عنقـا مغرب فى معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب ونكتة سر الشفاء فى القرن اللاحق بقرن المصطفى من ذلك الزبد الذى رمـاه الموج، يلوح للمنفـرد به الفرد وللجـامع عليـه الزوج فمن شـاء فليوتر، ومن شاء فليشفع ومن شـاء فليكتم، ومن شاء فليشع، وهذا القرن قد آن زمانه وقرب أوانه، فليـتأهب المتأهب لحلوله، وليستـغنم السعى لهذا النور الإلهى قـبل أفـوله، لا تحـجب يا أخى فـإن القرن الـلاحق بقـرن المصطفى ﷺ لم يزل موجودًا ما دام الإنسـان مع ربه سبحانه شاهدًا له والحق له مـشهودًا وإن كان الذى أشار إليه الشـرع، وجاء به السمع فى عبـارة الهرج والقتل فذلك أوان الـتقدم فى الفضل فـإن للعامل منهم ممن تـقدم وإن كان الإمـام المقدم فإنهـم لا يجدون على الخير أعوانًا كمـا وجدوا، ولا يشهدون لإمامهم عينًا كمـا شهدوا، فلا شىء أقوى من إيمـان غيب إذا لم يلـحق بصاحـبه ريب، وذلك زمـان الفتن وحلول البـلايا

والمحن ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٢٩ , ٣٠].

فتأمل هذه الإشارات فى نفسك واجتمع عليها بقلبك وحسك فإن الزمان شديد جبار عنيد، وشيطان مريد، فانسلخ منهم انسلاخ النهار من الليل وإلا فقد لحقت بأصحاب الثبور والويل[1]، وقد نصحتك فاعلم، وأوضحت لك فالزم السبيل ومن ذلك نكاح عقد، وعريس شهد ولما كان ما صدق من الرؤيا جزءًا كبيرًا نبويا، قطعنا بتصديق ما تهديه، وتنعم به من أيادى الحق وتبديه، فدخلت بيت الأنوار وانسدلت الحجب والأستار. غيرة على الحرم والأبكار. فبينا أنا أناجيه بين يديه إذ جذبنى جذبة عزيز إليه. فأقامنى الحق فى مقام البحر الذى على موجه وطمى ودخل بعضه فى بعض ونما وأنار فى حالة لا يعرفها إلا من كابدها، ولا يصفها إلا من شاهدها كما قيل:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

فأقمت متكئًا على اليمين وتركت قلبى فى مقابلة عليين، إذ هو محل الصدق الحق. ومقعد الصدق وقد غمره الماء، وأحاطت به الأنواء، فلم تزل أمواجه تصطفق، ورياحه تنزعج، وتستبق، إلى أن فتك فى الورك الأيسر، الأعلى قدر خرم الإبرة فرشح منه قدر رأس الشعرة رأيت فيها عبرة فكوَّنها الحق سبحانه شخصًا ملكيا، وأنشأها إنشاء فلكيا فرأيته مسبحًا، ومهللاً، ومكبرًا، وملبيًا، فعرفت أن ذلك الشخص جسمانية هذا الكتاب الذى أنزله الحق على وأبرزه للعباد على يدى، وإنه قطرة من ذلك البحر المتموج، ورشحة من ذلك الموج الأهوج فالحمد لله الذى صيرنى له فلكًا محيطًا، وجعلنى له روحًا بسيطًا، فانظر وتأمل أيها الولى الأكمل، إلى نبى قد فقدت جثته وبقيت عند الآحاد سنته فبعث ليلة من قبره، وسير به إلى حشره، والتحق الحى بالميت فحشر وحصل رب البيت فى البيت فخطب خميره من عتيقه وانتزعها من يدى صديقه، فأصدقها عددًا غاب عنى، وطلب الشهادة على ذلك منى، فكتبت فى خرقة حرير أحمر، كتاب زهو يزهر وكنت أول الشهود فى مهر عن إذنه ﷺ وأمره، وذلك بمنزله الأعلى ومقامه

(١) الثبور: بمعنى الويل والعذاب.

الأجل، فلما صح أمره ترك بيدى مهره ودخل منزله بعرسه وخلى بها وبنفسه، وبقى المهر بيدى إلى انقضاء أمدى، فلما لاح الصبح لذى عينين وجمع لى بين النورين لم أجد عرسًا ولا بعلاً غير ذاتى ولا صداقًا غير خلقى وصفاتى فكنت البعل والعرس، وزوجة العقل بالنفس، فتطهرت الحمية ببعلها وتأيدت بعزيمة عقلها، فعجبت من أمرى لما لم يكن غيرى وهكذا وقفت عند رفع الستور على مخبآت الأمور، فمن ساحل ماله بحر يحتمى به موجه، ومن بحر لا ساحل له يكسر عليه موجه، ومن ناطق بحقائق بغير لسان ولا مخارق ومن صامت لا يبرح داعيًا، وإلى الله هاديًا، ومن كرة لا مكان لها ما عرفها أحد، ولا جهلها، ومن قبة ما لها عمد، ومن عمد ما لها فى الأرض مستند إلى أسرار تتدنس بالذكر ولا تخلص بالفكر إذ هى من حضرة ما خطر على قلب بشر ولا وعتها أذن واعية بخبر، ولا أدركتها حقيقة بشر:

عجبت من بحر بلا ساحل — وساحل ليس له بحر
وصحوة ليس لها ظلمة — وليلة ليس لها فجر
وكرة ليس لها موضع — يعرفها الجاهل والحبر
وقبة خضرا منصوبة — جارية مركزها القهر
وعمد ليس لها قبة — ولا مكان خفى ولا سر
جعلت سرا لم يعبره كمن — فقيل هل هيمك الفكر
فقلت مالى قدرة فارفقوا — عليه فى الكون ولا صبر
فإن بالفكر إذا ما استوى — فى أجلدى يتقد الجمر
فيصبح الكل حريقًا فلا — شفع يرى فيه ولا وتر
فقيل[1] لى ما تجتنى زهرة — من قال رفقًا إننى حر
من خاطب الحسنا فى خدرها — متيمًا لم يفلسه المهر
أعطينها المهر وأنكحتها — فى ليلة حتى بدا الفجر

---

(١) بالأصل «فقل».

فلم أجـد غـيـرى فـمن ذا الذى نكحـتـه فلينظر الأمـر
فـالشمس قـد أدرج فى ضوئها القـمـر السـاطع والزهر
كـالدهر مـذمـوم وقـد قـال من صـلـى عـلـيـه ربـك الـدهـر

وإنى أريد أن أظهر لك من هـذه العجائب مـا تيسر وأمـهد لك منها مـا توعر فـوالله لو رأيت يا أخى حـال العارفـين إذا خـرجـوا من نفوسـهم ودرجـوا عن محسوسـهم تطهرت قلوب وأظهرت غيوب، ورفعت أسـتار فطلعت أنوار، وكان التجليـات على مقدار، فـمن شاهد قدسًـا، ومن شاهد أنسًا، ومن شـاهد عظمة وجمالا، ومن شاهد ملطفة وجلالاً، ومن بهت فى أينيه، ومن خطف فى هويه، فلو اطلعت عليهم غـيبًا لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعـبًا، لانعدامك عند تلك المشاهدة وتعذيبك وسقوط قولك وحل تركيبك فإن سلكت باب المناصحة، شهدت الحق منك مكافحة، فتنشد عند ذلك ما يسوق السالك:

ولما أتـانى الحـق لـيـلاً مـكـلـمـا كـفـاحًـا وأبـداه لعـين التـواضع
وأرضـعـنى ثدى الوجـود تحـقـقـا فـمـا أنا مـفطوم ولا أنـا راضع
ولم أقـتـل القـبطى لكـن زجـرته بعـلـم فلم تـعـسـر على المراضع
ومـا ذبح الأبـناء من أجل سـطوتى ولا جـاء شـرا ببطش رافـع
فكنت كـموسـى غـيـر أنى رحـمـة بفـمـى ولم تحـرم على المراضع
لغـزت أسـرارًا إن تحـقـقت سـرها بـذلـك عـلـم عـنـد ربـك نـافـع

فإن كان هذا الأمر العظيم فى الملك فعند المواجبـة والتوجيه الموسى، فما ظنك بالصـراط السوى، والمسلـك المحمـدى وفى الصراط السـوى إشـارة تدبر العبـارة وانظرها آية وأمارة، واجعلها زفرًا تقتبس ناره، فإن المزج والعقار بالامتزاج والحك تريك النار، وها أنا إن شـاء الله أبدى لك من سرائر الكون والمكنون، مـا شاهده المقام والعين، وما سبب البدء ومن كان أول النشء، وكيف كان ذلك الأول مشرق الأنوار، وينبوع الأنهار وعنه كان العرش والعالم الأوسط والفرش والجماد والحيوان وهو أصل الأكوان وأريك ذلك كله قد أودعه الرحمن فى ذاتك، وجعله صفاتك،

فأنت ذلك المثلى المشبه، وذلك المثل المنزه، فإن قلت وأين حظى من التنزيه، وأين حظه من التشبيه، فعند المواجهة والتوجيه يتردد كل واحد منكما بين التنزيه والتشبيه فإياك أن تغفل عن فتح هذا الباب المقفل والله يحسن عونك وإذا فتح لك أن يديم صونك وبدايتنا إن شاء الله تعالى فى هذا الكتاب بمعرفة المعبود، وإنه لا يعرف من ذاته سوى الوجود، ثم بعد ذلك أتكلم فيما ذكرته، وأسوق على ماشرطته، ومن أملى وبه أستعين وعليه أتوكل، فأنا منه إليكم وإليه منكم من غير إلى ومن، وأنا الأمين الحافظ المؤتمن وحسبنا الله ونعم الوكيل. والحمد لله رب العالمين والصلاة على خاتم النبيين وسلم تسليمًا كثيرًا.

*****

بسم الله الرحمن الرحيم

-وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما -البحر المحيط الذى لا يسمع لموجه غطيط فى معرفة الذات والصفات والأفعال بكر صهباء فى لجة عمياء. وهى معرفة ذاته جلت عن الإدراك الكونى: والعلم الإحاطى غطس الغاطس، ليخرج ياقوتها الأحمر، فى صدفه الأزهر، فخرج إلينا من قعر ذلك البحر صفر اليدين، مكسور الجناحين مكفوف العين، أخرس لا ينطق مبهوتًا لا يعقل فسئل بعد ما رجع إليه النفس، وخرج من سدفة الغلس، فقيل له ما رأيك، وما هذا الأمر الذى أصابك؟

فقال: هيهات لما يطلبون، وبعد الماء يرمون والله لا أناله أحد ولا تضمن معرفته روح ولا جسد، هو العزيز الذى لا يدرك، والموجود الذى يَملك ولا يُملك إذ حارت العقول، وطاشت الألباب، فى تلقى صفاته، فكيف لها تدرك ذاته ألا ترى حكم تجليه، فى ربوبية الأزل، كيف خر الكليم صعقًا، وتدكدك الجبل، فكيف لو تجلى فى هذه الربوبية من غير واسطة الجبل لنبيه موسى لكان صاحب موسى زمانه لا يوسى، بعد اندكاك وهلاك، وبعث فى نشأة مثله وأملاك وإذا كان تجلى الربوبية على هذا الحد، فأين أنت من تجلى الألوهية من بَعد، وإذا كان هذا خط المتبوع الكليم، فكيف بخط التابع الحكيم، فقد رمزنا فى الصفات أمرًا يعجز عنه، ولا يصل أحد إلا إلى ما قدر له منه.

وأما معرفة الذات فمتفقة بالنور الأضوا فى عمى محتجبة بحجاب العزة الأحمى، مصون بالصفات والأسماء، فغاية من غاب فى الغيب، الوصول إلى قرب، ونهاية الطلاب، الوقوف خلف ذلك الحجاب. هنا وفى الآخرة وفى نشأة الدنيا والحافرة. فمن رام رفعه أو تولى صدعه فى أى مقام كان عدم من جبنه، وطويت سماؤه وأرضه بيمينه، ورجع خاسرًا، وبقى حائرًا وكان قاسطًا جائرًا، ورد إلى أسفل سافلين وأُلحق بالطين فمن كان من أهل البصائر والألباب. وتأدب

بما يجب عليه من الآداب، وصل إلى ذلك الحجاب، الذى لا يرفعه سبحانه عن وجهه وكان يوقف على كنهه والوقوف على كنهه محال، فلا سبيل إلى رفع ذلك الحجاب بحال، فإذا وصل إليه العاقل اللبيب، والفطن المصيب، وأفرغ عليه رداء الغيرة قال أغار عليه أن يعلمه غيره، فوقف خلف الحجاب وناداه باسم الوهاب، البعيد الأقرب إلينا من حبل الوريد فيجيبه الحق بالمريد. وحقائق الوجود وتقدس وتنزه وتملك وتشبه. ودخل حيث شاء من جنة الصفات وارتاح فى رياض الكمال وجال وصال بالمتجلى المتعال لا يرد له أمر ولا يحجب عنه سر. ونادى الحق من عرش التنزيه. خلف حجاب عزة التشويه. هذا عبدى حقًا وكلمتى صدقًا. عرف فأصاب وتأدب فطاب. فليقبل جميع ما تضمنه هذه الحضرة إليه. ولينصب ذلك كله بين يديه. ليأخذ ما شاء مختارًا. ويترك ما يشاء ادخارًا فيؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شىء قدير وهو الحكيم الخبير وهذا مقام الأدباء ومنزل الأمناء. وحضرة اللقاء. وكل واحد من الواصلين إليه على قدر علمه وقوة عزمه. وإن شملهم المقام وعم فمنهم التام والأتم ومن هذا المقام يرجع صاحب الجماعة، وفيه يبقى من قامت فى حقه الساعة فهو المنتهى والختام. ومقام الجلال والإكرام. وفى هذا المقام قلت:

مواقف الحق أدبتنى ... وإنما يوقف الأديب

أشهدنى ذاته كفاحًا[(١)] ... فلم أجد شمسها تغيب

واتخذت ذاتنا فلما ... كنيت أنا العاشق الحبيب

أرسلنى بالصفات كيما ... يعرفنى العاقل المصيب

فيأخذ السر من فؤادى ... فتفتدى باسمه القلوب

فإن قلت فأين معرفة الياقوت الأحمر المصون فى الصدق الأزهر فأقول إن معرفة الياقوت الأحمر أن لا يعرف ولا يجد ولا يوصف، فإذا علمت أن ثَم موجودًا ألا يعرف، فقد عرفت وإذا أقررت بالعجز عن الوصول إلى كنهه فقد

---

(١) ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

وصلت فقد صحت الحقيـقة لديك واتضحت الطريقة بين يديك، فإنه من لم يقف على هذا العلم ولا قـام به هذا الحكم يدوم مـالا يحـصل له، وذلك لما ذهل عنه وجهله، فكفاك أن تعلم أن لا يعلم وهذا الحق قد انبلج صبحه فالزم، واقتد بالنبى والصـديق إذ قال ﷺ: «لا أحـصى ثناء عليك، أنت كـما أثنيت على نفـسك»، وهذا غاية الفـخر، أو معـرفة من وقف عند حجاب الـعز وقال الصديق الأكـبر، العجز عن درك الإدراك إدراك فـلا سبيل إلى الاشتراك، وليس بعد حـجاب العزة الإلهية إلا الكيفية والماهية، فسبحان من بعد وقرب وتعالى ونزل، وعرفه العارفون على قـدر ما وهب، وحسب كـل عارف به ما كـسب فكسب وذلك من صـفات السلب فغاية معرفتنا أنه موجود وأنه الخـالق والمعبود. وأنه السيد الصمد المنزه عن الصاحبة والـولد، وهذا كله راجع إلى التنزيه، وسلب التشبيه، فتـعالى أن تعرف منه صفات الإثبات، وجل أن تدرك كنه جلاله المحدثات وإذا كانت صفات الجلال لا يحاط بها، فكيف من قامت به واتصف بها فَجَلَّ الكبير المتعال. العزيز الذى لا ينال، فبحر الياقـوت الأحمر هو المسمى بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، و﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠]، فقد أشار إلى حجاب العزة الذى ذكـرناه. والسر الذى وصـفناه الصفـات لمحة بارق. وخـيال طارق قل للباحث عـما لا يصل إليه. والطالب فـوق ما يكفيـه هل عرف من الحق غيـر ما أوجده فيـه وإلا فهل أثبت له ما لم يتـصف به. وهل زلت فى معرفتـه عن الأمر المشتبـه إلا من طريق السلب والتنزيه. والتقديس ونفى التشـبيه وإن قلت هو الحى المتكلم القدير المريد العليم السـميع البصير؛ فأنت كـذلك وإن قلت الرحيم القاهر حتى تَستـوفى أسماؤه فأنت هنالك. فمـا وصفته سبـحانه بوصف إلا اتصفت به ذاتك ولا تسميه باسم إلا وقـد حصلت منه تخلقا وتحققا مقامـاتك وصفاتك فأين ما أثبت له دونك من جـهة العين وغاية مـعرفتك به أن تسلـب عنه نقائص الكون وسلب العبد عن ربه تعالى مالا يجوز عـليه راجع إليه وفى هذا المقام قال من قال سبحـانى ما أعظم شأنى دون شئـونى هيهات كل يعرى من شىء إلا مـن لبسه أو يؤخذ شىء إلا من حـبسه ومـتى لبس الحق صفـات النقص حتى تسلبـه عنها أو تعـريه. ووالله ما هذه حـالة التنزيه. وإنما الملحـد الجـاحد. حكم على الغـائب

بالشاهد. وظن أن ذلك نص فنسب إليه النقص. فإذا أثره نفسى أن ألبس ما لبسه هذا الملحد. وأعريها منه حتى أكون المحقق الموحد فنفسى إذا نزهت وذاتى قدست، والبارى سبحانه منزه عن التنزيه. فكيف عن التشبيه، فالتنزيه راجع إلى تطهير محلك لا إلى ذاته. وهو من جملة منحه لك وهباته. فالحمد لله الذى قدسك وعلى ثوب التنزيه الذى ألبسك. ولولانا ما لاح لعينك من ذلك لمحة بارق وطرقك عند هجعتك منه خيال طارق. ما صحت لك هذه العناية ولا ألبسك ثوب الخلافة والولاية وخرجت بها فى وجودك كما كنت عليها فى الصفة العملية، والمشيئة الاختيارية. سابقة قدم قبل خط القلم. فاعلم أنك متصل به فى الصفات المعنوية. من جهة الظلال من غير اتصال، منفصل عنه بالصفات النفسية المجهولة فى كل حال من غير انفصال. فلولا ما وصفك بأوصافه واعتنى بك فى سورة أعرافه. وأنزلك فيها منزلته فى وقت القبضتين والتعالى وقوله «هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى. وهؤلاء إلى النار ولا أبالى»(١). لما ارتفع عنه النفع والضرر وتنزه عن صفات البشر.

فقال تعالى ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦] وما كانوا له وفيه وما هم وذلك لما خلق سبحانه وتعالى هذا الشخص الإنسانى على صورته وخصه بسريرته فصفات الحق صفات العبد. فلا تعكس فتنكس فانظر إلى ما أشرنا إليه فى هذه الشذور وتأمل ما وراء هذه الستور. وتحقق ما حصل عندك من معرفة الصفات وإياك والالتفات.

فما عرفت قط صفة على الحقيقة من معبودك وإنما عرفت ما تحصل من الأوصاف فى أركان وجودك فمازالت عنك وما خرجت منك والتحقت صفاته بذاته فتنزهت عن تعلق علمك بماهيتها، واتصلت فى ذلك معرفتك بذاتها، فأنت العاجز عنها، والواقف دونها. فعلى طريق التحقيق ما عرفت ربك من كل طريق. وما عرفت أيضًا سواه وما نزهت إلا إياه فإن قلت عرفته قلت الحق وأنت

(١) عن عبدالرحمن بن قتادة السلمى، وكان من أصحاب النبى ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خلق الله آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال: هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى.. قال قائل يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال: على مواقع القدر.. الحديث رواه ابن حبان فى صحيحه (١٨٠٦ موارد الظمآن).

اللاحق. وإن قلت إنك لم تعرفه قلت الصدق وأنت السابق فاختر النفى لنفسك أو الإثبات فقد تنزهت الصفات من تعلق العلم الحادث بها كما تنزهت الذات. الأفعال موج ضرب فى الساحل وانصرف. وترك به اللؤلؤ والصدف فمنهم من زهد ومنهم من اغترف ولما كانت نجوم السماء السيارة. تضاهى بعض الأسماء من باب الإشارة وهى باب فى الأحكام. على صورة منها ما هو سلب النقائص والتشبيه ونفى المماثلة للتنزيه. وهو حظنا فى هذا التركيب من علم الذات ومنها ما هو شرط الألوهية، ومنها مالا ينقص بعدمه لو جاز على الماهية وهو علم الصفات ومنها ما هو لتعلق إيجاد العين، والتأثير فى عالم الكون وهو صور الأفعال.

فنقول على هذا الصراط السوى فى اسمه تعالى القدوس العزيز الغنى صفات جلال ونقول فى اسمه تعالى السميع البصير صفات كمال.

ونقول فى اسمه تعالى الخالق البارئ المصور صفات أفعال وما فيها والحمد لله صفة إلا لنا فيها قدم، ولنا إليها طريق أَمم فهذا الباب لصفات الفعل وهو باب الطول والفضل والإنعام والبذل، امتن سبحانه وتعالى أولا بالإيجاد من غير أن يجب ذلك عليه، أو يضطره أمر إليه، بل كان مختارًا بين العدم والوجود، فاختار أحد الجائزين ترجيحًا وسعادة للعبيد، فعلق بنا القدرة بين العدم والوجود ولا بعينه، فبرز للعين عن تعلقها دون كيفيته إذ كانت غير متعلقة بموجود، ولا أيضًا متعلقة بمفقود، وهذا بحر ليس له قعر فرددناه للفضل المتقدم ولم أكن فيه بالجائر المتحكم. وذلك لو علمنا حقيقة القدرة الأزلية وماهيتها فى العالمية لعرفنا كيف تحققت ومتى تعلقت ولم نقدر فى هذا الكتاب على قياس الغائب على الشاهد لأنا ما اجتمعا على معنى واحد. إذ ليس للقدرة الحادثة تعلق بإيجاد كون وإنما هو سبب عادى لإبراز العين وحجاب نصبه الحق فى أول الإنشاء ليضل به من يشاء ويهدى به من يشاء والفعل قد يكون نفس المفعول بالتشبيه والاشتباه كقوله تعالى ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ١١]. أى مخلوق الله، الذى أوجده بقدرته.

وقد يكون عبارة عن الحالة عند تعلق الفاعل بالمفعول وكيفية تعلق القدرة الأزلية بالإيجاد الذى حارت فيه المشاهد والعقول وكل من رام الوقوف عليه نكص على

عقبه ورجع عن مذهبه وهو قوله تعالى: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١].

وقال فى حق أنفَسِهم وأقدسهم حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]. فأراه آثار القدرة لا تعلقها فعرف كيفية الإنشاء والتحام الأجزاء حتى قام شخصًا سويا، وما رأى تعلق قدرة ولا تحققها.

فقال له الخبير العليم ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠] لما تقدمه من صورة الأطيار، وتفريقه الأطوار، وكما نفخ المسيح فى صورة الطين الروح وانتفض طيرًا وأظهر فى الوجود خيرًا، فكان النفخ له حجابًا، ومافتح له من باب تعلق القدرة بابا. وكذلك يقول من سأل الله تعالى أن يقول للشىء كن فيكون، ذلك عنده أمرًا وينفرد الحق بسر نشأته ونشره فالتفاضل بين الخلق إنما هو فى الأمر الحق، فشخص يكون أمرًا ربانياً لتحققه فيكون عنه ما يشاء، وآخر غير متحقق ليس له ذلك. وإن كان قد ساواه فى الإنشاء، فسبحان من انفرد بالاختراع والخلق وتسمى بالواحد الحق.

(لا إله إلا هو العزيز الحكيم) أوجد العالم كله من غير مثال فى كافة كثافاته ولطافاته ظاهرًا وباطنًا دنيويا وبرزخيًا وأخرويا ملكا وملكوتًا وغيبًا.. فتعالى الله علواً كبيرًا.

*****

محاضرة أزلية على نشأة أبدية

اجتمعت الأسماء بحضرة المسمى اجتماعا وتريًا منزها عن العدد فى غير مادة ولا أمد كالأسماء والصفات الإلهية تتخاطب كلها دون انفصال على مقتضيات الحكمة لتأخذ عن الذات الإلهية ما أرادته فلما أخذ كل اسم فيها مرتبته ولم يَعْدُ منزلته، فتنازعوا الحديث دون محاورة وأشار كل اسم إلى الذى بجانبه دون ملاصقة ولا مجاورة وقالوا ياليت شعرنا هل يتضمن الوجود غيرنا. فأعرف واحدا منهم ما يكون، إلا اسمان. أحدهما العلم المكنون فرجعت الأسماء وأشار إلى الاسم العليم الفاضل، وقالوا أنت لنا الحكم العادل فقال نعم بسم الله وأشار إلى الاسم الجامع الرحمن، وأشار إلى الاسم التابع الرحيم، وأشار إلى الاسم الأعظم العظيم وصلى الله ورجع إلى الجامع من جهة الرحمة على النبى وأشار إلى الاسم الخبير، والعلى محمد الكريم وأشار إلى الاسم الحميد، خاتم الأنبياء، وأول الأمة وصاحب لواء الحمد[1] والنعمة فنظر من الأسماء من لم يكن له فيما ذكره العليم حظ، ولا جرى عليه من أسماء الكريم لفظ، وقال العليم من ذا الذى صليت عليه، وأشرت فى كلامك إليه، وقرنته بحضرة جمعنا، وقرعت به باب معنا ثم خصت بعضنا بالإشارة والتقييد إلى اسمه الرحيم والحميد فقال لهم عجبًا وهذا هو الذى سألتمونى عنه أن أبينه لكم تحقيقًا وأوضح لكم إلى معرفته طريقا هو موجود يضاهيكم فى حضرتكم، وظهر عليه آثار نفحتكم، فلا يكون فى هذه الحضرة شىء إلا ويكون فيه ويحصله ويستوفيه، ويشارككم فى أسمائكم، ويعلم بى حقائق أنبائكم، وعن هذا الموجود المذكور، الصادر من حضرتكم، وأشار إلى بعض الأسماء منها الموجود والنور، يكون الكنه والكيف والأين وفيه يظهر بالاسم الظاهر حقائقكم، وإليه بالاسم المنان وأصحابه يمتد فائقكم، فقالت نبهنا عن أمر لم نكن به عليما وكان هذا الاسم إشارته إلى المفضل علينا عظيما، فمتى يكون

(١) عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، ولواء الحمد بيدى يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يفتح أبواب الجنة ولا فخر.
رواه ابن ماجه في سننه (٤٣٠٨) فى باب ذكر الشفاعة من كتاب الزهد

هذا الأمر، ويلوح هذا السر؟ فقال سألتم الخبير واهتديتم بالبصير، ولسنا فى زمان فيكون بيننا وبين وجود هذا الكون مدة وأوان، فغاية الزمان فى حقنا ملاحظة المشيئة حضرة القديم والنسبة، فتعالوا نسأل هذا الاسم الإحاطى فى جنسه، المنزه فى نفسه.

وأشار إلى المريد فقيل له متى يكون علام التقييد فى الوجود الذى يكرن لنا فيه الحكم والصولة وتجول بظهور آثارنا عليه الكون على ما ذكره الاسم العليم حوله.

فقال المريد: وكأن به قد كان، ويوجد فى الأعيان، وقال الاسم العليم، ويسمى الإنسان، ويصطفيه الاسم الرحمن ويقبض عليه الاسم المحسن وأصحابه سوابغ الإحسان فأطلق اسم الرحمن محيا وَحَيًّا المحسن وبَيَّاه، وقال نعم الأخ ونعم الصاحب، وكذا الاسم الواهب فقال اسم الوهاب فقال أنا المعطى بحساب وغير حساب فقال الاسم الحبيب أقيد عليكم ما تهبونه وأحسب عليكم ما تعطونه بشهادة الاسم الشهيد فإنى صاحب الضبط والتقييد غير أن الاسم العليم قد يعرف المعطى له ما يحصل له فى وقت، ويبهم عليه الاسم المريد فى وقت أبهى ما يعلمه ولا يمضيه ويريد الشىء ويريد ضده، فلا يقضيه، فلا زوال لى عنكما ولا فراق لى متكما فأنا لكم لزيم ونعم الجار والحميم فوزعت الأسماء كلها مملكة العبد الإنسانى على هذا الحد الربانى وتفاخرت فى الحضرة الإلهية الذاتية بحقائقها وبينت حكم مسالكها وطرائقها وعجلوا فى وجود هذا الكون رغبة فى أن يظهر لهم عين، فلجوا إلى الاسم المريد الموقوف عليه تخصيص الوجود وقالوا سألناه بهذه الحضرة التى جمعتنا والدار التى تسلمتنا إلا ما علقت نفسك بهذا الوجود المنتظر فأردته، فأنت يا قادر سألتك بذلك إلا ما أوجدته وأنت يا حكيم سألتك بذلك إلا ما أحكمته وأنت يا رحمن سألناه إلا ما رحمته ولم تزل كلها واحدًا قائمًا قاعدًا، فقال له القادر على المريد بالتعلق وعلى بالإيجاد وقال الحكيم على القادر بالوجود وعلى بالأحكام فقام الرحمن وقال على بِصِلَةِ الأرحام فإنه سجنه منى فلا صبر له عنى فقال له القادر كل ذلك تحت حكمى وقهرى فقال القاهر لا تفعل إن ذلك لى وأنت خديمى وإن كنت صاحبى وحميمى فقال العليم أما الذى قال تحت حكمى فليقدم علمى فتوقف الأمر على جميع الأسماء وإن بجملتها وجود عالم الأرض

والسماء وما بينهما إلى مقام الاستواء. ولو فتحنا عليك باب توقفها والتجأ بعضها لرأيت أمرًا يهولك منظره ويطلب لك خبره ولكن فيـما ذكرناه تنبيه على ما سكتنا عنه وتركناه فلنرجع ونقول:

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

فعندها وقع هذا الكلام الأنفَس فى هذا الجمع الكريم الأقدس تعطشت الأسماء إلى ظهور آثارها فى الوجود ولا سيما الاسم المعبود ولذلك خلقهم سبحانه وتعالى ليعرفوه بما عرفهم ويصفوه لما وصفهم فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧].

فلجأت الأسماء كلها إلى اسم الله الأعم والركن القومى الأعظم، فقال ما هذا اللجأ ولأى شيء هذا الالتجاء؟ فقالت: أيها الإمام الجامع لما نحن عليه من الحقائق والمنافع ألست العالم أن كل واحد منا فى نفسه على حقيقته وعلى سنته وطريقه وقد علمت يقينًا أن المانع من إدراك الشيء مع وجود النظر كونك فيه لا أكثر. فلو تجرد عنك بمعزل لرأيته وتنزهت بظهوره. وعرفته ونحن بحقائقنا متحدون لا نسمع لها خبرًا، ولا نرى لها أثرًا.

فلو برز هذا الوجود الكونى وظهر هذا العالم الذى يقال له العلوى والسفلى، لامتدت إليه رقائقنا وظهرت فيه حقائقنا، فكنا نراه مشاهد عين، لما كان منا فى أين، وفى حال فصل بين ونحن باقون على تقديسنا من الأبنية وتنزيهنا عن إحاطتهم بنا من جهة الماهية والكيفية فغايتهم أن يستدلوا برقائقنا على حقائقنا استدلال مثال وطروق ببال، وقد لجأنا إليك مضطرين، ووصلنا إليك قاصدين فلجأ الاسم الأعظم إلى الذات كما لجأت الأسماء والصفات، وذكر الأمر وأخبر السر فأجاب نفسه المتكلم بنفسه العليم، إن ذلك قد كان بالرحمن فقل للاسم المريد يقول للقائل يأمر بكن، والقادر يتعلق بإيجاد الأعيان، فيظهر ما تمنيتم. ويبرز لعيانكم ما اشتهيتم فتعلقت بالإرادة والعلم والقبول والقدرة، فظهر أصل العدد والكثرة وذلك من حضرة الرحمة وفيض النعمة، أصل البنا. وأول النشء نشأ سيدنا محمد ﷺ على أكمل وجه وأبدع نظام بحر اللؤلؤ والمرجان المودع فى

العالم الأكبر والإنسان ولما تعلقت إرادة الحق سبحانه بإيجاد خلقه وتقدير رزقه برزت الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية، فى الحضرة الأحدية وذلك عندما تجلى لنفسه بنفسه من السماء الأوصاف وسأل ذاته بذاته موارد الألفا فى إيجاد الجهات والأكناف فتلقى ذلك السؤال منه إليه بالقبول والإسعاف فكان المسئول والسائل والداعى والمجيب والمنيل والنائل فكمن فيه كمون تنزيه ودخل جوده فى حضرة علمه فوجد الحقيقة المحمدية، على صورة حكمه فسلخها من ليل غيبه فكانت نهارًا وفجر ماء عيونًا وأنهارًا، ثم سلخ العالم منها فكانت سماء عليهم مدرارًا وذلك أنه سبحانه اقتطع من نور غيبه قطعة لم تكن متصلة فتكون عنه عند التقاطع منفصلة.

ولكن لما نظره سبحانه وتعالى الصورة فصار كان ثم جنسًا يجمعها ضرورة فكان قطع هذا النور المنزل والممثل من ذلك الجنس التخيل، والبارئ منزه فى نفسه عن قيام الفصل به والوصل والإضافة بالإنسان إلى جنسه فهو قطع مثلى أبدى أحدى عن معنى أزلى فكان لحضرة ذلك المعنى بابا وعلى وجهها حجابًا، ثم إن الحق صيره حجابًا لا يرفع وباب لا يُقرَع ومن خلق ذلك الحجاب، يكون التجلى ومن وراء ذلك الباب يكون التدلى كما إليه ينتهى التدانى والتوالى وعلى باطن ذلك الحجاب يكون التجلى فى الدنيا للعارفين ولو بلغوا أعلى مقامات التمكين وليس بين الدنيا والآخرة فروق العارف فى التجلى عن غير الإحاطة بالحجاب الكلى وهو فى حقنا حجاب العزة، إن شئت رداء الكبرياء[1] كما أن ذلك الحجاب يكون تجلى الحق له خلف حجاب الهباء وإن شئت رد الثناء، وما ذكرناه زبدة الحق اليقين، وتحفة الواصلين فلنرجع إلى ما كنا بسبيله من حسن النشء، وقيله فنقول على ما قدمنا فى حق الحق من التنزيه ونفى المماثل من التشبيه أنه سبحانه لما اقتطع القطعة المذكورة مضاهية للصورة أنشأ منها محمدًا ﷺ على النشأة التى لا تنجلى أعلامها ولا يظهر من صفاته إلا أحكامها ثم اقتطع العالم له تفصيلا على تلك الصورة وأقامه متفرقا على غير تلك النشأة المذكورة إلا الصورة الآدمية الإنسانية فإنها كانت

(١) قال الله تعالى فى الحديث القدسى: «الكبرياء ردائى، و العظمة إزارى فمن نازعنى واحدًا منهما قذفته فى النار ولا أبالى» الحديث رواه أحمد فى مسنده.

ثوبًا على تلك الحقيقة المحمدية النورانية ثوبًا يشبه الماء والهواء فى حكم الدقة والصفاء فتشكل بشكله فلذلكم يخرج فى العالم غيره على مثله، فصار حضرة الأجناس إليه يرجع الجماد والناطق والحساس وكان محمد ﷺ نسخة من الحق بالأعلام، وكان آدم نسخة منه على التمام وكنا نحن نسخة منهما عليهما السلام، وكان العالم أسفله وأعلاه نسخة منا وانتهت الأقلام غير إن فى نسختنا من كتابى آدم ومحمد سر شريف ومعنى لطيف، أما النبيون المرسلون وغير المرسلين والعارفون والوارثون منا فنسخًا منهما على الكمال.

وأما العارفون والوارثون من سائر الأمم، والمؤمنون منا فنسخة من آدم وواسط محمد عليهما السلام فى حضرة الجلال، وأما أهل الشقاوة والشمال فنسخة من طين آدم لا غير، فلا سبيل لهم إلى خير، فتحقق بها الطالب هذه النسخة تعش سعيدًا وتكون فى زماننا فردًا وحيدًا فالحقيقة المحمدية المنبة عليها بليس كمثله شىء وما نزل عليها من النسخ فعدم دليل وظل وفى أربعة الأربعة والحقيقة المنزه مرتفعة، ثم خلق الخلق وفتق الرتق وقدر الرزق ومهد الأرض وأنزل الرفع والخفض وأقام النشأة الآدمية والصورة الإبهامية، وجعلها تتناسل وتتفاضل وتترافع وتتنازل إلى أن وصل أوانه وجاء زمانه فصير العالم كله فى قبضته ومحصنته فكان جسم محمد ﷺ زبدة محصنة، كما كان حقيقة أصل نشأته فله الفضل بالإحاطة وهو المتبوع بالوساطة إذ كان البداية والختم ومحل الإفشاء والكتم فهذا هو بحد اللآلىء دليل النواشىء، وقد تمهد فاستره وتجسد فأخبره، فقد حصل فى علمك شىء أول موجود وأين مرتبته من الوجود ومنزلته من الموجود ثم علق العالم به تعلق اختيار الحق، لأنه استوجبه بحق حتى يصح أنه تعالى المنعم المتفضل ابتداء على من شاء بما شاء لاحقة.

ولما كان من العالم دوريا ونشأة فلكيًا رجع العَوْد على البدء، واستوى الكل فى النشأ وصار اللابس ملبوسًا والمعقول محسوسًا فوجود أسرار الكون الأكبر فى العالم الأصغر إعادة وهو لها إشارة:

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٢]

﴿ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ [النازعات: ١٠]

فليس هناك فى النشأة حقيقة زائدة سوى أعراض واردة إشارة وإن كان قد تبين فيما تقدم معناها ولكن هنا منتهاها هل الإنسان معدوم فى العالم الأكبر وهو منفصل عنه بمقامه الأزهر، فإنه آخر موجود حسا وأول موجود نفسًا. فإن كان من جملة العالم الأكبر فأين نسخته وإن لم يكن من جملته فعلى أى نسبة يخبر به عنده فحدد البصر ودقق النظر، وخلص الذكر والمقالبة واستعن بالفكر والمراقبة، وتهيأ للقبول بما يرد عليك به الرسول ﷺ فستقف من ذلك على جلاء، وسيكشف عن عينك غطاء العمى، وهذه نكتة فاعرف قدرها وحقق أمرها، فهى زبدة الأمر وخفى السر، وإن شئت أن أنبئك فاسمع وحصل ما أشير به إليك واجمع العالم فى الأين والإنسان فى العين فإن كنت فى الأين فأنت منه وإن كنت فى العين، فلا نخبر بك عنه، ولست يحق فى عدم الأين، ولكنك برزخ الأمرين. صاحب لقاء وإلقاء وسيد نزول والتقاء برزخ فانظر أينك وحقق عينك وأنا المبرأ من تأويلك والمقدس عن تفضيلك إلا أن وافقت أمر الحق وألحقتنى بالخلق وهذا لب لمن كان له قلب قشر عليه لئلا يتوصل من ليس من أهله إليه وذلك أن العالم بما فيه من جميع أجناسه ومبانيه، وأسافله وأعاليه، ليس الإنسان لينبأ بشىء زائدًا على جميع تلك المعانى عند افتراقها، وشمل تلك تلك الأجناس والعيون عند اتفاقها فعلى هذا الوجه صح للعارف سلخه فكان له أكبر نسخة.

حظ الإنسان من العالم، واعلم أن على ما اقتضاه الكشف والعلم روح العالم والعالم روح العالم والعالم الجسم فهو الآن روح لعالم الدنيا به بقاؤه، وبه فتق أرضه وسمائه وعالم الأخروى إلى أن ينفتح فيه الأمر الربانى هذا الروح الإنسانى فهو الآن كصورة آدم قبل نفخ الروح، أو الأرض قبل إشراق بوح فإذا أخذ هذا النشأ الإنسانى من هذا العالم الدنياوى، تهدمت بنيته، وتخربت أفنيته، ونفخ فى العالم الأخروى، فحييت به الجثة، وكانت لك الدنيا ستر وجنة للروح المضاف إلى الحق الذى نفخ منه فى عالم الحق هى الحقيقة المحمدية القائمة بالأحدية، فعلى

هذا الحد هـو الإنسان فى الدارين، وظهـوره فى العالمين نشـأ العالم من الحـقيـقة المحمدية نشأ العرش منها لؤلؤ كان الغرض أن أجعل إلى جانب كل لؤلؤة فى هذا الباب مرجانتها ومع كل بداية نهايتهـا، غير أن الفصل لما كان لبيان ما تعددت عن ذات واحدة، وظهـر عنها من أجناس مـتبـاعدة أردت أن أكمل لآلئـه على نسق، وأجعلها طبقًا تحت طبق حتى تأتى على آخر الكون، رغـبة أن لا يتحير الناظر فيه فتذهب عنه أكثر معانيه، فإن استوفيت إن شاء الله لإلهيه، ورتبت نواشيه، وعرف الطالب مقراه وتبين معناه، أخذنا فى سياق مرجانه على ترتيب لآلئه.

المرجانة الأولى: للؤلؤة الأولى

من هذا الفصل على أحـسن نظم وأبدع صنع وأحكم وصل فأقول إن مـحمدًا ﷺ لما أبدعه الحق سبحانه وتعالى حقيقة مثلية وجعله نشأة كلية حيث لا أين ولا بين وقال له أنا الملك وأنت الملك وأنا المدبر، وأنت الـفلك وسأقيمك فيـما يتكون عنك من مملكة عظمى، وطامة كبرى، سايسًـا ومدبرًا، وناهيك وآمرًا تعطيها على ما قـد أعطيتك وتكون فيـهم كما أنا فيك، فليـس سواك كما لست سـواى فأنت صفاتى فيهم وأسمائى، فحـد الحد وأنزل العهد، وسألك بعد التنزيل والتدبير عن النقير والقطمير[١] لهذا الخطاب عرقًا حيا، فكان ذلك العرق الظاهر ماء، وهو الماء الذى نبأ به الحق تعـالى فى صحيح الأنبـاء فقال سبـحانه وكان عـرشه على الماء، وهو منتهى الخلا إلا ما كـان هنالك من زعزع مستطر، حامل لهواء مـستقر، ليس وراء لا يكون فيه خلاء أو ملاء.

لؤلؤة نشأة الملأ الأعلى

ثم انبـجست منه ﷺ عـيون الأرواح، فظهـر الملأ الأعلى وهو بالنظر الأجلى فكان لهم المورد الأجل فكان ﷺ الجنس العالى إلى جميع الأجناس والأب الأكبر إلى جميع الموجـودات والناس، وإن تأخرت طينته فقـد عرفت قيمـته، فلما وقع الاشتراك مع الأملاك فى عدم الأين، حـتى كأنهم فى العين أراد ﷺ التفرد بالعين وتحصيل الملأ الأعلى فى الأين.

---

(١) القطمير: الفوفة التى في النواة وهى القشرة الرقيقـة وقيل هى النكتة البيضاء التى في ظهر النواة تنبت منها النخلة.

لؤلؤة نشأة العرش

خلق قلمًا علم الحق سبحانه وتعالى إرادته، وأجرى فى إمضائها عادته نظر إلى ما أوجد فى قلبه من مكنون الأنوار رفع عنها ما اكتنفها من الأستار، فتجلى له من جهة القلب والعين، حتى تكاثف النور من الجهتين فخلق سبحانه وتعالى من ذلك النور المنفهق عنه ﷺ العرش وجعله مستـواه وجعله الملأ الأعلى وغيره مما ذكره ما احتواه لكنهم منـه ﷺ بالموضع الأدنى ومن مستواه بالتجلى الأسـنى فحصلوا فى نيتـه الحصر، وتمكنوا من قـبضتـه الأسر وانفرد ﷺ فى مسـتواه بمن اجتـباه ومن اصطفاه، وصيره الحق تعالى خزانة سره وموضع نفوذ أمره، فهو المعبر عنه يكن لما لم يكن فلا ينفذ أمر إلا منه، ولا ينقل خبر إلا عنه، وهـو حجاب تجليه وصياغة تجليه وترقى تدانيه وتلقى تدليه.

«سبحان من تعالى فى دنوه وتدانى فى علوه».

لؤلوة نشأة الكرسى منه

ثم نظر صالبًا أين يضع قدميه وأين موضع نـعليه فانبعث من تلك الطرقة أشعة فى الخلاء استـدارت أنوارها كاستدارة المرآة لطيـفة الكيف فارغة الجـوف، معلومة المنازل عند السالك والراحل، فجـعل ذلك الكور وأنشأ ذلك الدور كرسيًا لقـدميه وحضرة لنفوذ ما يصدر من الأمر بين يديه، فـيخرج الأمر منه متجه العين حتى إذا وصل الكرسى انقسم قسمين إذا كان المخاطب من ذلك الموضع إلى أقصى الأسفل موجـود بين اثنين، وإن كان واحـدًا فمن جهـة أخرى وعلى ذلك الواحـد، تتابع الرسل تترى، فإن المخاطب بجميع الأشياء إنما هو الإنسان ليس ملك ولا جان فإن الملك والجان جزء منه، وأنموذج خرج عنه فله بعض الخطاب والإنسان كلى الكتاب المنبه عليه بقوله تعالى:

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَـابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] ثم عـم بقوله ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] كـما نبه على الحقـيقة المحمـدية التى هى أصل الإنشاء وأول الابتـداء فهـو الأصل والأم والعـالم فروعـه فقـال: ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَـابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

فنحن الكتاب الأجلى وهو الأم الأعلى فالإنسان الكتاب الجامع، والليل المظلم والنهار المشرق الساطع فمن علو مرتبته. وسمو منزلته، وإنه واحد بالنظر إلى معناه، واثنان بالنظر إلى حاله وثلاثة بالنظر إلى عالمه وأربعة بالنظر إلى قواعده، وخمسة بالنظر إلى مملكته. وستة بالنظر إلى جهاته، وسبعة بالنظر إلى صفاته، وثمانية بالنظر إلى نسخته، وتسعة بالنظر إلى مراتبه. وعشرة بالنظر إلى إحاطته وأحد عشر بالنظر إلى ولايته وهو روح القدس فإن أمده هذا الروح من غير كشف ملكى وهو تابع لغيره فهو صديق. وهى المنزلة الحادية عشرة فى الإنسان وإن أمده على الكشف الملكى وهو أيضًا تابع أو لا تابع ولا متبوع فهو نبى وهى المنزلة الثانية عشرة فى الإنسان وإن أمده على الكشف الملكى وهو أيضًا تابع أو لا تابع ولا متبوع فهو نبى وهى المنزلة الثانية عشرة لبشر فى الإنسان وإن أمده على الكشف الملكى وهو تابع لا نابغ فهو الرسول وتلك الرسالة وهى المنزلة الثانية عشرة فى الإنسان بتمام وجود الإنسان وجرد الإنسان وتم الوجود. وتم الوجود فى العشرة. ثم جاء الحادى عشر نظير الثانى والثالث من البسائط وتبين ذلك فى الوسائط فاعتكفت ملائكة التقييد على قدميه لاحظة ولما يصدر عنه من المعلوم فيها حافظة فإن قيل هذا الكرسى الأجلى فأين اللوح المحفوظ والقلم الأعلم وأين الدواة اليمنى. وكيفية كتاب التعيين. فنقول تركنا تعيين ما ذكرته موقوفًا على نفسك حتى تطلع على ذلك ببصرك الربانى حتى صحت وصلتك بالله عند شروق شمسك وقد نبهنا عليها فى هذا الكتاب بالتضمين لا بالتعيين فاشحذ فؤادك وقَوِّ اجتهادك عسى الله أن يفتح لك بابًا من عنده عند مواظبتك على الوفاء بعهده والتصديق بوعيده ووعده.

لؤلؤة نشأة الأفلاك

وهى أرواح السموات نشأ السبع الطباق الطرائق والكواكب منه فلما كمل هذا الكرسى واستقر فيه الملأ الأمرى أحال أنوار السبعة الأعلام فكان عنها السبع الطرائق متماسة الإجرام جعلها سقفًا مرفوعًا لمهاد سيكون إذا توجه عليه الأمر بقوله تعالى: ﴿كن فيكون﴾ وكواكبها منتهى الأشعة فى الخلاء على الاستيفاء فسقطت الأنوار، وتجارت وانتشأت الأفلاك، واستدارت وهى منتهى الأشعة،

وبقى منتهى الأشعة على أصله نيرًا فى محله فالأفلاك اتصال أنوار أشعة الأنوار الحقيقية المحمدية والمقامات الأحدية ويرجع صغر حجم الكواكب وكبرها المسام ذاته المشرقة، وينابيعه المنفهقة، وعليه دور الأفلاك الإحاطة، التى اتصفت بها الوساطة وتحريكها بالتماس مشروط على عقد مربوط واختصت كواكب المنازل بالكرسى الكريم لما كان المقام الذى يفرق فيه كل أمر حكيم، فتنبه يا غافل وتدبر يا عاقل لهذا النشأ المصون والكتاب المكنون الذى لا يمسه إلا المطهرون، ولما استدارت هذه الأفلاك متجوفة، واستقرت بساحتها عوالم الأملاك متخوفة وكملت البنية فى النشأة العلوية، واستمرت الجرية وطلب التأثير يأتيه فلم يجد، فيرجع فقيرًا إلى حجاب الأحدية فجيء عند قدميها راغبًا ولملكته منها طالبًا وضجت ملائكة السماء وما بقى هنالك من الأسماء إلا وجود الأرض والماء والنار والهواء.

لؤلؤة نشأ العناصر الأول منه

فنظر ﷺ ذاته بعين الاستقصاء، إذ قد أنشأه الحق محل الإحصاء ثم نظر ما وجد منه فوجد الملأ الأعلى والعالم الأدنى وفقد العالم الأوسط والأقصى فأخذ يدبر فى إيجاد أصول الكون الأسفل، والنور الأنزل، إذ لابد لكل علو من سفل ولكل طيب من تفل فقبض عليه الحق سبحانه عند هذه النظرة، ومرور هذه الخطوة وقبض الجلالة والهيبة ليخرج ما بقى من الأشعة فى تلك الغيبة فعندما اشتد عليه الأمر وقوى عليه القهر، وظهر عليه العدل والأمر، ورشح لتلك النقطة فكان ذلك الرشح ما ثم نفس عنه سيرًا فتنفس فكان ذلك النفس هواء، ثم أوقفه على الجهة التى قبضة منها فلاح له ميزان العدل قائمًا على نصف ذاته فزفر زفزة له، فكانت تلك الزفرة نارًا، فسد عنه فى ميزان العدل بحجاب الفضل، فوجد برد الرحمة، فيبس ما بقى من الرشح بعد نظره فكان ذلك اليبس والبرد أرضًا قدرًا، ثم ناداه من حضرة العين يا محمد هذه أصول الكون، فصيرها إليك ثم امزج بعضها ببعض فيكون منه عالم الهواء والأرض والجامع لهؤلاء العوالم الإنسان هو الذى أشار إليه العارف بقوله لا أبدع من هذا العالم فى الإمكان، فتكون الخلاف والمثل، فظهرت الصورة والشكل وكل خلق بالإضافة إلى ما خلق منه يسير، وإلى ما كون منه بعد الخلاء له يصير وستعلم أن فقه القديم فى قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ**

تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٤، ٥] إلى ما خلق من الطين ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين: ٥] فعرف من أين جاء وزال ثم أفل ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦] مشاهدة تمكين ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ [التين: ٧] عن مكاشفة التعيين ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] بين المتنازعين من أهل البرازخ بين الشمائل واليمين فصن هذه الدرر وتكتم بها واستتر، فلا يعرف ذلك إلا من طعم وشرب من مائدة الحق. فعاين الصدق. وتريح عنه أثواب الرق.

لؤلؤة نشأ الدخان الذى فتقت فيه فى السموات العلى

ولما خلق الله هذه العناصر الأول، على الخلق الذى قدره فى الأزل، جعلها سبعًا طباقًا، وأسكنها أقواتًا وأرزاقًا، كما أسكن الطباق العلى معارف وأخلاقًا، فتماست طباق الأرض. وحك بعضها فى بعض، فتولد بينها لهب، ذو سبع شعب كل شعبة من جنس أرضها، ولذلك تميز بعضها من بعضها فعلا من كل لهيب دخان مختلط، ففتق ذلك الماء والهوى والنار. ومازج أفلاك الدرارى والأنوار مرتوق الشعب منزوع اللهب، ففرقته الأفلاك والنيران بحقائقها فكان فتقًا؛ وصعد هيولانيًا فصيره الحق عند هذه الأسباب صورًا وخلقًا فأداره سبع طرائق وجعل الأفلاك أرواحًا لهن حقائق فقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]. وقال: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢] فى يومين بعد ما خلق الأرض وقدر فيها القوت فى أربعة أيام وذلك لكثافة الأجرام فإنها أربعة عناصر مختلفة الأواصر، ولما كان الدخان من نار السبع الطباق الترابية، فكانت مختلفة فى اللونية، كذلك جاءت الطباق السماوية مختلفة فى اللونية فزرقه وصفرة وحمرة وبياض، وخضرة كل سماء من جنس أرضها إذ هى من بعضها، وكذلك لما كان أصل السموات أرضيًا عنصريًا، زالت بزوالها فى الآخرة، وبقيت الأفلاك العلوية فى أوجها دائرة فإن الفلك يبرز بذاته على العموم. إذ النجم عبارة عما ظهر من الفلك. فتأمل يا أخى هذا الخير الذى شملك، فالأفلاك باقية بقاء الجنان. والإنسان والسموات باقية ببقاء الأرض والحدثان، فتأمل لولا الحقائق المرتبطة والأفلاك الروحانية المتوسطة، ما بدلت الأرض غير الأرض، وصارت درة

مكة بيضـاء تحت قدم الخفض فظهور الأفـلاك النيرات. عبارة عن تبـدل السموات فتأمل هذه الإشارات، وابحث عما تضمنته هذه العبارات.

فلا يعرف السر إلا من غمس فى بحر البر.

لؤلؤة نشأ منها أمثال رؤية الحق فى عالم الخلق

وتجلى الحق سبحانه وتعالى للناطق من الحيوان كتجلى السراب للظمآن، وليس فى الكون كله شىء يشبه تجلى الحق إلى قلوب العابد من سـماء المعرفة سوى هذه الصـفة، ألا ترى التـجلى لا يكون إلا (من أعلى إلى أدنى) وجعـل القيـعان دون الجبـال مجالاً للشراب الأسنـى فانظرها حكمة ما أجـلاها وقطرة مزن ما أعـذبها وأحلاها، ثم حجب حـقيقة هذا السراب نصبـة تشبيهًا بعـمل أهل الكفر. ثم نبه أهل الإشارة على عظمـته عنده فى آخر الأمـر. فقال حين أنزل عهـده، وخاطب عبده: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾ [النور: ٣٩] فسـتره أولاً بعمل الكفرة وبتوفيـقه الحساب بعده، إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ولا يدرك وصفه وهو اللطيف الخبـير فارفع هذه الطنب، واخترق هذه الحجب تبصر العجب العجاب، واشكـر القشر الذى صان هذا اللباب، فالسر غـال، والأمر عـال، والمعرفـة ملزمة فـقف عند حـد الأدب واترك الطلب وقل: «سبحان الله وسع كل شىء رحمة وعلمًا» وهنا يقول المحقق لهذا الكتاب:

«السـر لا يسـتـبين الـعـقل حكمـتـه — إلا بنـور من الـعـــرفـــان ربـانى

فـارقب بقلبك مـا تخـفـيه حكمـتـه — واسـتمطـر الخيـر من ذياكم الجـانى»

لؤلؤة التحام اليواقيت وانتظام المواقيت

ولما تمهدت الخليقة وامتدت الدقيقة. إلـى الحقيقة، وتجسد فى أول النشأ الترابى الشخص الجـسمـانى الإنسانى الآدمى المخلوق بيـد التنزيه والمكسو حلة التـشريف والتنويه ويردد الجسـد طورًا بعد طور، وكورًا بعـد كور، فى قوالب يكثـر عددها ويكبر أمدها، حتى كانت تلك الأطوار فى تلك الأدوار نشأة مـتحدة. وهيئة فردية متجسـدة فلما كملت بنيتها، وتخلـصت تصفيتها، نفخ فيـه الشخص الروحانى. والكلمة الإلهية، والأمر الربانى، فقامت النشأة على سـاقها تعتمد وبأمرها تستند.

وتوارى الدور بالنشـأة على أصل البدء. إلى أن سلخ ذلك النهـار من ليل أرضه، والتحق بعنصره الأعلى واختلط بعض ببـعض وبقى فى أوجه الأعلى رقيبًا، وعلى تعاقب الأدوار حسيبًا، ولتبصرنه على التـعيين، فى مقام التمكين ولتعلمن نبأه بعد حين وهو إذ ذاك أحكم الحاكمين فلما ارتفع كـما ذكرناه، فى الرد الذى به سترناه تحققت المهلكة بالفـساد، وعم الهلاك جميع البلاد والعـباد، إلى أن حلت الشمس فى حملها ثبت شـرفها وجذلها وسطع النور وتنـزل الأمر فلم يبق أحدًا أعلى إلا صعق لذلك الـتجلى ولا بقى رفرف أسنـى إلا كان تجلى لذلك التدلـى فتنزل نور «ليس كمثله شيء» فى أنبوب ماله فى مكـتنفا بأردية الصون حتى وصل إلى عالم الكون، فـحل الدرى المشـرق فى برجه، وحـصل الرقم المودع فى درجـه، فكان ياقوتة حمـراء، تجوفت لها ياقوتة صفـراء، فأودعها سبـحانه فيها. وخـتم عليها بخاتم: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥].

فلما التحقت الحقـيقتان والتفت الرفيقتان زهرت الأفـلاك واعتصمت الأملاك، وظهـرت الرجـوم، لمن أراد الهـجوم، وتـنزل الروح الحق، والكلم الصـدق، ثم اختلت الياقوتتان فى الظلمات لتعـاين الصغرى منهما. ما غاب عنها من الآيات، فعندما اجتمعت الصغرى بأختـها كانت لها بيتًا، ثم ارتقت إلى من كانت له بيتًا، فأكرمت إلا موالهـا وحمدت مسوالها فتطلعت الحـمراء من خلف حجاب الكتم، فإذا هى بـنور الختم فخـاطبه بلسـان الاستنبـاء أنا خاتم الأوليـاء ومقـدم جمـاعة الأصفـياء، أنا مكنون حكـمتك. وخاتم أمـتك فقـالت له: هل لك فى أن تكون معى وزيرًا صـديقًا. فقـال قد استـخلفت عتيـقًا وشال رداءه فـإذا بالصدق رداءه وشمس الغرب وراؤه ثم فـارقه وقد شاقه، فلما عـدمت الأغيار وتقطعت الأنوار والتصقت الرقـيقة المثلية بالحقيـقة الكلية فى أنبوب الزمردة الطينيـة، سمع صوت وزيره، وصاب سره وتدبيره الذى استخلفـه خاتم أوليائه، فى الجرى على إنجائه، ثم كانت أمور فى هذا التجلى، لا يسع الوقت إلى إنشائها، ولا يعطى الحال أيضًا إذاعة أنبائها، فإن القصد فى هذا الكتاب إنمـا هو معرفة الخليفة والختم وتنزل الأمر الحتم فنقـول فرجع عوده عـلى بدنه فى ليله وأدرك صلاة الصبح مـع أهله فنسود ذلك الجسـد على أمثـاله ممن تقـدم أو تأخر من أشكاله. لما كـانت مادة الحـقيـقة الأصلية والنشأة البدائية إليه اسمه من ذاتها وإلى غيره من صفاتها.

لؤلؤة اعتراض لمن أصاب الصيد بالمعراض

ولما كان هـذا النشأ الحمـدى بهذه المنزلـة العلية، وكـان الأصل الجامع لجـميع البرية، وصح له المجد الذى لا ينبغى لغيره وأقامه الحق سبحانه وتعالى صورة نفعه وضيره عـدلا وفضلا وجمعا وفـصلا وأراد الحق أن يتم مكرمته حسا، كـما أتمها نفسـا، فأنشأ لها فى عـالم الحس صورة مجسـمة بعد انقـضاء الدورة التى تعطف آخرها على أولها وكـانت فى أوسطها مكملة وسمى سبحـانه وتعالى ذلك الجسم المكرم المطهر مـحمدًا وجـعله إماما للناس كـافة، وللعالم سـيدًا ونطق على ظاهر ذلك الجسد لسان الأمر فقال:

«أنا سيد ولد آدم ولا فخر»

ثم نزل لهم تعليما فاغتفر وردد فيهم البصر والنظر وقال ﴿إنما أنا بشر﴾ وذلك لما كنا له مـثاله، وكان لنـا تمثالا، فطورًا تقدس وطـورًا تجنس فهو السـابق ونحن اللاحقون وهو الصـادق ونحن المصدقون ولما كانت أيضـا صورته الجسدية جـسما لمقام الأبناء لا لصـورة الإنشاء، كمـا كان بدأ الوجود الكون وظهـر العين فكانت دورة فلكه دورة منك والدورة المتـقدمـة المذكـورة، درة ملك، لعلك تقول كـيف يتأخر وجود الملك عن وجود المملكة وهى قد حصلت فى ميدان الهلكة. قال: من كان فى ذلك الوقت اسـتنادها وعلى من قام أمرها وعـمادها فهـا أنا أشفى الغليل وأوضح السبيل، وأعرفك بامتداد الرقائق وتناسب الحقائق(١).

لؤلؤة امتداد الرقائق من الحقيقة المحمدية إلى جميع الحقائق

ولما أوجد الحق سبحـانه كما قدمنا الأفلاك سقفًا مـرفوعا لأهل السفل ونصب الأرض مهادًا موضوعا لحثالـة الثقل وانتشرت عنه ﷺ من مستواه فى الملأ الأعلى حقـائقه، وتكونت من أنـوار أشعة نوره طرائفـه واتصلت بعالـم الأرض الموضوع رقائقه، وظهـرت فيهم شمائله ﷺ وحقـائقه، لكل حقيقـة شرب معلوم ومع كل

---

(١) والمحقق هنا يقـول للإيضاح أظهر المملكة الوجودية سبحانه وتعالى أولا إظهـار بروز وأخفى الملك رغم بروزه الأولى حتى يتم أمر دعايته لمملكته فليس ثَم ملك من غير مملكة فافهم ترشد وأبصر تزدد.

رقيقة رزق مقسوم ولحظنا تفاضل الرقائق[1] «فوجدناها راجعة إلى تفاوت الخلائق فى الخلائق، فكشفنا من مقام المشاهدة والتعيين، على رقائق الأنبياء والمرسلين فرأيناها تنزل عليهم صلوات الله عليهم على قسمين منها ما ينزل بها ملائكة القدمين، ومنها ما ينزل عليهم من مستواه مكاشفة عين، ورأينا مشاركة أتباعهم لهم فى هاتين التنزيلتين، ولكن بواسطتهم، لا بالعين، إلا هذه الأمة التى قيل فيها إنها خير أمة أخرجت للناس فإنها تأخذ عنه من غير واسطة ولا التباس.

كما أخذ عنه من تقدم من رسول مرسل أو نبى منزل، غير أن تنزل الملك قد يفاجئهم وقتًا ما كما يعمهم بالإلقاء فى الأجل المسمى، وأما من خلق جاحدا، وطبع ملحدًا، فإن النور المحمدى لما ضرب فى الأرض شعاعه، وحميت قيعانه وبقاعة تولدت بينهما حرارة وتجسدت بالنبات فتكون متها شرارة، ففتق فى تلك الشرارة الجن على قسمين، رفع وخفض لما كانت تلك الحرارة نتاجا بين النور والأرض، ولذلك قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥].

إشارة الى اختلاط الأرض بالأنوار، فمن غلب عليه النور فى ذلك النتاج. كان من الجن اللاحق بالبوار فتنزل الرقائق على من طبع كافرًا فى أنابيب ذلك النار الشيطانى، وإن كان أصله من النور السلطانى وأما العصاة فتنزل رقائقهم بواسطة ما قدمناه من الحرارة لا بواسطة الشرارة فكانت رقيقته ﷺ فى دورة الملك المالك إلى هلم جرا إلى الأبد أصلا لجميع الحقائق فهو الممد ﷺ فجميع العوالم من أول منشأه إلى أبد لا يتناهى مادة شريفة مكملة لا تضاهى.

مرجانة اللؤلؤة الأولى

حظ الإنسان منها انسلاخه عن الحقيقة المجردة بمشاهدة حقيقة من كان أوجده نفى عن نفسه حين أحاط به نور شمسه فى حضرة قدسه فحصل له الإحاطة بالعلم الكلى تقديرًا، وبقى له تأثيرًا الحكم تكويرًا.

فصاحب هذا المقام لا يعجز عما يسأله عنه سائل وكيف يعجز من أحاط بالعلم الكامل وتحصل العلم عند السؤال، وهل الفرق بينه وبين المتعال كما أن الفرق بينه

(١) والمراد من الحقائق ما تنزل بها الملائكة مشافهة بالخطاب المنطوق، ومنها ما هو بإلهام عن طريق الكشف

وبين عالم الذل والعز عدم الحصد والعجز وقد يسأل نفسه أو يرى فيعرف ما سكن فى الليل والنهار أو تحرك فى الورى، فهذا نعت من حصل فى هذا الكشف الأجلى والمقام السنى الأعلى، لا تخدع نفسك بنفسك، ولا تترك الغمائم على شمسك إلا أن استسقاك من جذبت أرضه، وتعطل عليه فرضه وهلك بعضه فأروه من مزنك حتى يستصحبك فيعلم أن جميع مطالبه فيك فعند ذلك أرخى العنان وأطلق سبيل العيان، وقل المريخ تزرؤها ذروًا حتى تبدو الشمس للعيان، فإذا أحاط الإنسان بهذا الوصف وتحقق بهذا الكشف فليس وراءه عدم ولا وجود، ولا عابد ولا معبود، إذ لا ورى ولا أرى إذ قد حصل الموجودين، وتحقق بالعدمين، وفصل العدم الثالث فصلين، ولم يسبق له من العلم سوى حرف العين وانفردت المادة بالميم واللام بلطف القديم، فليس فى ذلك المقام سوى علم مجرد وتحقيق قديم ومجدد(١).

مرجانة اللؤلؤة الثانية

كذلك بعض الخواطر الأول اللاحقة بالأزل لا تتصف لا بالوجود ولا بالعدم ولا تضمنها لوح ولا خطها قلم، ولا كانت مجملة فى الدواة كالقمر فى النواة لم تتصف بالأين ولا زالت تكر من العين إلى العين فمن هنا وقع الشبه والاشتراك بين هذه الخواطر وعيون الأملاك وذلك قبل خلق العرش وفتق الفرش، فقد صحت له المقابلة وعوينت المماثلة.

مرجانة اللؤلؤة الثالثة

كذلك إذا خلع الرجل نعليه وتجرد عن ثوبيه وزهد فى كونيه حل هذا المحل الأسنى وكان منه بقلب قوسين أو أدنى، ورثًا نبويا من دنى كل قوس على حسب راميها وعلى حسب اختلافها فى مراميها، هذا هو مقام الاستواء وحضرة وتر الأنبياء فيه ترد عليه مخاطبات التأنيس، وقواعد التأسيس بعين الاتحاد، من غير إلحاد، فتمايل ذاته فى ذلك النور تمايل السراج من وارد السرور، والابتهاج، فكأنه

---

(١) أى علوم لا تبتدأ وإنما هى قديمة من حيث تعلق الإرادة الإلهية بما انكشف فى علمها القديم لكن إظهارها فى الزمن المراد والمكان المراد حسب تخصيص مشيئته تبارك وتعالى اعتبرت علوما مجددة «أمور يبديها ولا يبتديها»

نشوان أخذ من الراح فرام الارتياح، لم يجد السراج فسمع منه إليه فتواجد بعضه عليه، فكان عشاقا لنفسه تواقا لشمسه فطلعت عليه من فؤاده، وأشرقت أرض بلاده فتعم بعضهم فى بعض لما جادت سماؤه على أرضه[١].

مرجانة اللؤلؤة الرابعة

كذلك إذا حصل الإنسان من ذاته فى برزخ البرازخ مقام المجد الشامخ والعز البازخ فيه تكون ليلة قدره، وكمال بدره يميز فيه بين الأشياء، ويفصل بين الأموات والأحياء، ويطلع على أهل البلاد والنعماء فيه يبرز على صحابته بالكتابين بالشمال واليمين، وهؤلاء بأسمائهم وأنسابهم فى عليين وهؤلاء كذلك فى سجين، بعد ما يحصل له فيه التجلى العلى من حضرة المتعالى بهؤلاء للجنة ولا أبالى، وهؤلاء للنار ولا أبالى، منه أنزل الفرقان، وإليه أنزل القرآن، وفيه يعلق الميزان وتتطاير صحائف الشمائل والأيمان فى هذا المقام تقوم قيامته، الخاصة بذاته، وتقع مسائل العدل فى أسمائه وصفاته، فتنطق الجوارح لبعض العارفين، وتبدو الفضائح لأهل التلوين، والمصالح لأهل التمكين، فيه تبدل سيئاتهم حسنات وكراماتهم آيات فيه يحصل لهم بعد قيام قيامته، واستواء إقامته الوارث الإنبائى والمقام الاختصاصى، فنادى فى ذلك الانباء الخاص، ألا فانزل إلى القصاص وعجل بالأوبة ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣][٢] فمبادر ومتملك فتملك من تملك

(١) وللتوضيح يقول المحقق «إن المقصود أن العبد الربانى إذا عاش مقام التفريد بفنائه عن الأشياء واستغراق حاله فى الله تعالى بشىء الأشياء كانت ذاته عرش استواء التجلى الإلهى تتوافد عليه جميع أسرار العوارف بالحقائق».

(٢) روى أبو داود الطيالسى عن أبى إسحاق التميمى قال: سألت ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن قول الله تبارك وتعالى ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾

قال: ليس بحين نداء ولا نزو.. وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما: ليس بحين مغاث.. وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس: نادوا النداء حين لا ينفعهم وأنشد: «تذكر ليلى لات حين تذكر».

وقال محمد بن كعب فى قوله تعالى: ﴿فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ يقول: نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم واستناصوا للتوبة حين تولت الدنيا عنهم.

وقال قتادة: لما رأوا العذاب أرادوا التوبة فى غير حين النداء.

ولزيادة الإيضاح نقول استجاروا واستغاثوا حين لا تنفعهم استجارتهم واستغاثتهم فقد فات الأوان ولا ينفعهم الندم.

ومن هذه الحضرة ينقلب الولى نبيا والنبى وليـا، وهى حضرة الخليفة والختم وحل الإفشاء والكتم، وإن رغم أنف المنـكر، فإنه القائل المستكبر أخـذ بقضاء الله، إلى أن حصل فى «مضمار الانتـباه» فينقلب عينه ويتصل بينه فياحضـرة فرق ويا مقعد صدق ما أعطاه بحق.

مرجانة اللؤلؤة الخامسة

كذلك إذا طلعت نجوم العلوم من سماوات الفهوم افتقر إليه كل شىء ولم يفتقر هو إلى شىء وسـبحت درارى صفـاته فى أفلاك ذواته علـى برج مقامـاته ومنازل كرامـاته فخلق الأيام بدورتها، وتثبت الأحـكام بكرتها، فسبـعة سابح فى سبـعة كإقبـال فى ثمانية وعشـرين ورجعة مقسـمة على اثنى عشر محـلا، لتصح. اثنى عشـر شهراً حرامـا وحلالا فليس إلا أربعة أعـلام، أيام وجمع وشهـور وأعوام، فالأيام داخلة فى الجمع والجمع والأيام داخلة فى الشـهور والأيام والجمع والشهور داخلة فى الأعوام، ثم يرجع الكور فيتوالى الدور فلدرارى جمعة تمام والمنازل شهر والبروج عام، فإن كان يومك الأحـد، فإدريس جليسك فلا تلوى على أحد، وإن كان يومك الاثنين فآدم جليسك فى برج الـنشأتين وإن كان يومك الاثنين والثلاثاء فهارون جليسك فالزم الاهتداء. ويحيى أنيـسك فالزم العفاف والاكتفاء، وإن كان يومك الأربعاء فعيسى جليسك فالزم الحياة القدسية والبيدا وإن كان يومك الخميس فموسى جليـسك فقد ارتفع التلبيس وكـملت على كشف ولا أنيس وقد استـبشر الملك وخنس إبليس وإن كان يومك العروبة[1] فيوسف جليسـك صاحب الصفات المعشوقة المحبوبة وإن كان يومك السبت فإبراهيم جليسك فبادر بكرامة ضيفك قبل الفوت فـهذه أيام العارفـين، وهو لا درارى أفلاك السـائرين وأما شهـودهم فأربع جمع فاسـتمع أيها السالك واتبع فكشف جمـعتهم الأولى لوحية، والثانيـة قلمية والثالثة يمنية والرابعة علمية، وعليمهم:

﴿ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ [التوبة: ٣٦].

---

(١) اسم من أسماء يوم الجمعة، والعـروبة بالفتح ومعناها الحبيبة، والعروب من النساء المتحببة لزوجها ومنها قوله تعالى ﴿عربا أترابا﴾ أى الحور المتحببات لأصحابهن، وعُرب جمع عروب.

فعليك بـالانتباه فـمحرم التـحريم والتـبرى، وصغـر التجلى والتـحرى وربيع العرف، وربيـع الكشف وجماد الأول، وجـماد الآخـر، ورجب المشهـد الأشمخ وشعبـان البرزخ، ورمضان الصمدانيـة، وسؤال عين الماهية، وذى القعـدة البساط وذى الحجة الانبساط فهذه شهـورهم وهذه دهورهم، فشمسهم حياتهم، وزهرتهم نظرهم، وكتـابتهم كلامهم وقمـرهم عليهم، والمقاتل قدرتهم، والمـشترى إرادتهم وكيوان سمعهم فشمسهـم روحهم، وقمرهم نفسهم، والخنس حواسهم وترحيلهم سيرهم فى المقامات وتأثيـرهم ما ظهر عنهم من الكرامات ورجوع دورانهم نزولهم إلى البـدايات، بعد النهـايات لكن نشأة أخـرى، فى يوم طامة كـبرى، فـيمـانية وشـماليـة فى الترحـيل، بالترقى بـأسمـاء حق الخلق، وأسمـاء حق الحق، على التحـريم والتحليل وكـسوف يعتـرى، الكمل قد برى وأدنى يكشـف أعلاه لغلب الشـهادة على مـا خفى، وزيادة فى قـمر النفس، ونقص وذلك لتـعويج الـقوس فخروج من حضرة الحق ودخول ومحلق وأقوال ولا يكسف إلا التراب ويتوب الله على من تاب، ويكسف القـمر الشمس فى أوجـها إذ دخل برجـها، ولولا طلب الاختصار لأوضـحنا هنا من الأسرار، ما فيه عبـرة لأولى الأبصار فانظر على هذا الأنموذج، فى نفـسك واجتـهد فى ترحـيل قمرك فـى شمسك، والله يـهدى إلى الطريق الأقوم والسبيل الأقوم[١].

مرجانة اللؤلؤة السادسة

كذلك إذا كان الإنسان فى مقام المجـاهدة وعدم القرار فعنصره النار فإن تلطفت ذاته بكشف الإيماء، وفنى عن تأثير الإرادات، وسلطان الهـواء فعنصره الهواء فإن كان فى مقـام الحق بالأسماء بعد الأسـرار، والنزول من السماء فعنـصره الماء فإن صمت وهو مـتكلم وتبرأ من العـلم وهو معلم وساوى بـين الأقارب والأتراب[٢] وعم بخطاب الهداية الأعداء والأحباب فعنصره التراب.

---

(١) تحذير وتنبيه: يقول المحقق أيها المريد حتى تستفيد وتفيد إلى التثبت والفهم حتى لا تقع فى خيالات الوهم والجموح فى المغـالاة والشطط واسأل ربك الشرح حتى لا تقع فى الشطح، فهـذه علوم رجال أفذاذ، لهم عند ربهم ملاذ، اجـتبـاهم وعلى عينه رباهم وجـعلهم أوعية لعلومـه وأسراره ومصـابيح لإظهار جـمال بوارق أنواره.

(٢) الأتراب جمع ترب وهو الصاحب والقرين وأتراب معناها أصحاب.

مرجانة اللؤلؤة السابعة

كذلك إذا علم الإنسان أن وجوده سراب إلى جانب وجود الوهاب ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩].

فلولا نفحة الدعوى، ما تشبه بالماء، فإن ارتقى على كل هذا الشكل، فسرابه عبارة عن المثل وذلك إذا تجلى الحق إلى قلبه فى مكنون غيبه، فسطعت أنواره عند التجلى، فنحيل الظفر به فى ذلك التدلى فوجد الأين لحصره، والعين تبصره والكيف ينعته، والعقل فى التشبيه يمقته، فيرجع بعد الغنا إلى العجز، ويعرف أن خلف حجاب العز، يجد الله عنده فيوفيه عهده، فتحقق رشده(١).

مرجانة اللؤلؤة الثامنة

كذلك من وسع الحق قلبه فقد استوى شهادته وغيبه، والتحمت يواقيته وانعدمت مواقيته، وكان الحق هنا السارى إلى عبده رحمة من عنده، وهذا الفرق بين النبى والولى والتهامى والنجدى، فإن النبى يسرى إلى الحق العلى والحق يسرى إلى الولى، إذ لا طاقة له على التسرى لقوة امتزاحه بالورى وتثبته فى الثرى، فمن غلبت عليه روحانيته واستولت عليه ربانيته سرى إليه سير النبى على البراق العلى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

والحق يفرقه ويجمعه فمن أراد بسط هذه المرجانة، ولؤلؤتها على الاستيفاء فليطالع من كتبنا كتاب الأسرار هنالك يعرف منزلته، ويكشف مرتبته.

مرجانة اللؤلؤة التاسعة

كذلك عالم الشهادة تمام العوالم ونكتة العالم هو مجتمع الأسرار ومطالع الأنوار، به يصح المجدولة يحصل الجد، فإن قال أنا سيد العالم فله أن يقول لأن العقل لا يصح له علم إلا بعد المغيب فى هذا الجسد والأفول وإن قال أنا بشر مثلكم دون زيادة فلا اشتراك فى العبادة والإنسان فى نفسه نسختان، ولذلك له إذا

---

(١) يشير بذلك إلى الآية الشريفة «فوجد الله عنده فوفاه حسابه» والمقصود أن العبد الربانى إذا انزاحت عنه الحجب فى حضرات التجلى شاهد المتجلى».

صام له فرحتان(١)، فنسخة إحساسه تفرح بفطرها، ونسخة عقله تفرح بلقاء ربها، فكان الواحد مثـالا والآخر له تمثالا، وقد كان ملك الروح مـوجودًا، وعالم الملك مـفقـودًا، ولكن يلاحظه فى أطوار تنقله من الأصـلاب إلى أوان انسـلاخه منهـا والانسلاب، فمن انسلخ عن صلبه فقد فـاز بلذة قربه ومن تقدم روحه على حسبه حاز حـضرة قـدسه ومن دبر مـلكه فى عالم الغـيب برأه عند وجوده من الغـيب والريب ومن كان آدمى الوضع محمـدى السر فقد حصَّل المقامات على الاسـتيفاء وكلمه الجبـار بوساطة الافتقار إلى النار فى حق الأغيـار كذلك من مشى فى حق غيره فقـد باء بجميع خيره فإن مـشى فى حق الحق فهو فى مقعد الصـدق فتحقق ترشد(٢).

مرجانة اللؤلؤة العاشرة

وإن كان العارف أمره مـتبوعًا وكلامه مسـموعًا وحصل المشاهدة الغيـبية وحاز المرتبة القطبـية، وساقت إليـه الأسرار، وأطلع الأنوار من خلف الأستـار، وكانت مادته كالشمس فى مـادتها وقبلت كل ذات على حسب حقيقتـها، فإذا حصل فى النور تغيير، فذلك راجع إلى محل التكوير، فكمـا لا يساوى قبول الجسم الصقيل قـبول الدرن للـنور والفيض هـو واحد كـذلك منازل القلوب عنه فـيض الشـاهد فالقطب يرسل نوره، والكون منه ما يكشف حجابه ومنه ما يرخى ستوره، فالغيب من كون النفس لأمر عين الشمس فالأمداد وترى والقبول وترى شفعى فنور المعرفة كالسراج فى الصفة فكما أن نور السراج ما قرب منه إلى الفتيل أظلم وعاه وما بعد منه وارتفع سطع وأنار كذلك نور المـعرفة ما امـتزج منه بعالم الشهـادة قل ضوؤه وتراكم غمـامه ونوره، فإن الحل كثـيف ونور المعرفة لطيف ومـا تعلق منه بالعقل

(١) روى ابن ماجـه فى سننه كتاب الصـيام باب «١» حديث رقم «١٦٣٨» عن أبـى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعـمائة ضعف إلى ما شاء الله، قال الله تعالى: ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾.
يقول الله تعـالى فى الحديث القدسى: «كل عمل ابـن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ترك شـهوته وطعامه من أجلى» رواه أبو هريرة رضى الله عنه.

(٢) يقول المحقق: ولا يقطع هذه المقـامات، مترقيا إلى أعلى الحضـرات إلا من أهلك الأغيار وولى عن الإدبار فى جمع لشتات حـاله عن السوى، ومفارقته لحجاب الهوى وترك جميع الخلق، واصطلم مسـتغرقا فى الحق فإن كان كذلك مدح هنالك وصار عبد حق فى مقعد صدق.

والروح أنار كذلك يروح وبقى على أصله من الجلاء لما انسلخ من العـماء وكما أن الفتيلة إذا كـان فى رأسها دخان مسامت لنور السـراج لاصق به جرى نور السراج فى أنبوب الدخان حتى يسـتقر برأس الفتيلة فيقدر على بعد فـما ظنك بنور المعرفة من بعد كذلك للعارف إذا احترق قلبه بالشوق وصعدت همته إلى فوق، واتصلت بنور معرفة المعروف ردها إلى قلب العارف بأسنى معروف فعاش بها زمانًا وأنار بها أكوانًا وكما أن السـراج إذا طلعت الشمس لم يتغير ضوء نفسـه كذلك نور المعرفة فى المعارف إذا تجلى الحق للأعيان وأظهر قدسـه أنار الوجود بتجليه، وأنار العارف بذلك التجلى وزاد على الغير بما أودعه فيه، فهو بنورين، ويشهد الحق من الجانبين وكما أن نور السراج أبدًا إلى جـهة فوق كذلك نور المعرفة مـتعلق بالحق، فإن مر على السراج هواء تمايل تمايل النشوان فإن اشتد عليه الهواء عدم من العيان.

وكذلك نور مـعرفة العـارف إن داخله تعلق بالأكوان، تمايل تمـايل النشوان عن الشمـائل والأيمان فإن تعلق بهـا تعشقـًا عدم من عين المشـاهدة تحققًا، وكـما أن السراج يطفى منه الهوا بالحق ويبقى منه كثـيرًا ما لم يلحق كذلك نور المعرفة ليس يذهب ذهابا كليا ولكن يذهب منه ما تعلق بالخلق ويبـقى منه ما تعلق بالحق وكما يفجأ الـنفخ للسراج بغتة فـيطفيه كذلك الخطوة المسـتفرقة تطفىء نور المـعرفة ولا يكلؤه.

فإن بقى منه دخان؛ فتلك الهمة، فـسيعود إليه نوره وهو جالس وإن لم يبق له دخان فسـيكون الفرانق الفارس، وكما أن السـراج إذا لم يمده الدهن طفى كذلك نور المعرفة إذا لم يمده التقوى عـدم. وكما أن السراج إذا لم يتعلق بجسم لم يبق له عين كذلك نور لمعرفة مع الكون وكما أن نور السراج لا يكون ضوؤه كاشفًا إلا حيث الظلام، كذلك نور المعرفة فى الأجسام، وكما أن السراج لا يستضىء به إلا من يليه. كذلك نور معـرفة العارف لا يستضىء به إلا من يصطفيـه ويدنيه، وكما أن السراج لا يسـتضىء به من بَعُدَ كذلك نور المعـرفة لا يستضىء به مـن جحد، وكمـا أن السراج يكشفه البـعيد والقـريب كذلك نور المعرفـة يشهد له البعـيد فى الأفعال والقـريب، فى وصفه العجيب، وكمـا أن من خلص فى ضوئه السراج لا يكشف ما بعد عنه وأعماه، كذلك نور المعرفة من قرب منه لا يعرف سواه، وكما

أن السراج يقد منه أهل الأرض ولا ينقص ذاته، كذلك نور المعرفة إذا حققت صفاته وكما أن السراج ما اتصل منه بالفتيلة اتسع، وما بعد عنها خرج مخروط الشكل وسطع كذلك نور المعرفة إذا تعلق بالأفعال اتسع باتساعها، وإذا تعلق بالحق ضاق ورق لعجزه بمكانها وفى السراج من الأغيار ما يضيق الديوان عنه ولا يبلغ له كنه فكيف لو أخذنا فى اعتبار الشمس فى هذا المقام والقمر فى حال نقص والتمام. أو فى كون من الأكوان لضاق الزمان من إبراز سرائره للعيان، فَلْيَكْفِ من ذلك ما ذكرناه، وليستدل بهذا على ما تركناه، وهذا هو حظ الإنسان من اللؤلؤة العاشرة قد ذكرنا بعضه، وأجمل معناه لما قصر عنه لفظه والله يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

إثبات الإمامة على الإطلاق من غير اختلاف

اعلم أن الإمامة هى المنزلة التى يكون النازل فيها متبوعا وكلامه مسموعا وعقده لا يحل، وضرب مهنده لا يفل فإذا هَمَّ أمضى، ولا راد لما به قضى حسامه مصلت وكلامه مصمت، لا يجد الغرض مدخلا إليه، وإن رام اعتراضًا عوقب عليه، وقد أثبتها سبحانه وتعالى كبرى وأكبر وصغرى وأصغر، فأى منزلة كانت صغرت أم كبرت جَلَّتْ أم قَلَّتْ، فإن الطاعة فيها من المأموم واحدة والمخالفة لها فاسدة إذ قد وقع التساوى فى الطريقة والاشتراك فى الحد والحقيقة.

وحكم الإمام على قسمين: لما كان الإمام إمامين ناطق ومضمن نطقًا وصادق ومودع صدقا كالإمام الذى هو الكتاب الصحيح الذى يشهد عليه بالتصريح فيحكم عليه الكتاب بما شاء كيف شاء ولذلك قال الصادق المختار فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار[1] وكل ملك لا يكون فيه إمام متبع، فعن ما قريب ينخرب ذلك الملك ويتصدع ولهذا توفرت دواعى كل أمة إلى اتخاذ الأئمة وهكذا جرت الحكمة

---

(١) قال ابن مسعود حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق إنه يجمع خلق أحدكم من بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقول: اكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أم سعيد، فوالذى نفسى بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها والحديث، رواه ابن ماجه فى سننه «٧٦».

الإلهية والنشأة الربانية فقال الحكيم الخبير ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] كل أمة على حسب ما تعطى حقيقتها وتقبل رقيقتها فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨] فألحق البهائم بالأمم وحكم بذلك وعم وكل أمة فى أفقها ناطقة وفى أوجها عاشقة فليس فى الوجود جماد ولا حيوان إلا ناطق بلسان، لسان ذات لا لسان حال والقائل بخلاف هذا قائل محال فلا حجب كثيفة والمعانى لطيفة فلو كشف الغطاء، وزال الاستبطاء لرأيت كل ذات مسبحة فى جنسها، ناطقة فى نفسها ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] موف بعهده، ألا ترى أن المؤذن يشهد له مدى صوته[١] فهذا قد عرفنا بحقيقته لغته وكلام الميت يسمعه كل حيوان ما عدا الإنس والجان، وفى كل أمة من هذه الأمم نذير من جنسها على حسب نفسها، ولابد من اتخاذ الإمام المتبع فى الشىء الذى قدم له واتبع فإن نازعه آخر هلك، وبقى الأول على ما ملك إلا إن ظهر منه نقص فى شروط الإمامة ولم يثبت فيه العلامة فليعذر من وقته مقته، وليقدم فى تلك المنزلة من كانت فيه الشروط على العقد المربوط، فإمام الأئمة كلها هاديها ومضلها

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]

فقد قرن الفساد بالاشتراك وقال إن بها يقع الهلاك فلابد من اتحاده فى حكم بلاده، فلا سبيل إلى منازعته ولا مدخل إلى مطالبته إلا كما ذكرت لك من كمال الشروط واستيفائها، والوفاء بحقها وأدائها وإمام الصلاة إمام فيها، على أركانها ومبانيها فإذا ركع فاركعوا فإذا سجد فاسجدوا[٢] ومن رفع قبل الإمام فناصيته بيد الشيطان، وكذلك القاضى إمام فيما نصب إليه، والقائم إمام فيما قدم عليه، وكلكلم راع وكلكم مسئول عن رعيته[٣] فكلكم إنسان إمام فى بيته وبنيته والإمام

---

(١) الحديث لفظه «المؤذن يغفر له مدى صوته ويشهد له كل رطب ويابس وشاهد الصلاة يكتب له خمس وعشرون صلاة ويكفر عنه ما بينهما» الحديث رواه أحمد فى مسنده وأبو داود والنسائى وابن ماجة فى سننهم وابن حبان فى صحيحه كلهم من حديث أبى هريرة.

(٢) بعض حديث طرفه «إنما جعل الإمام ليؤتم به...» الحديث» رواه البخارى فى صحيحه ١/ ١١٧٧.

(٣) رواه البخارى فى صحيحه ٢/ ٦.

الأكبر المتبع الذى إليـه النهاية والمرجع وتنعقد عليه أمـور الأمة أجمع فكل إمام لا يخالف فى إمامته إذا ظهر بعلامته، وكل إمام تحت أمر هذا الإمام الكبير. كما أنه تحت قهر القاهر القدير، فـهو الأخذ عن الحق، والمعطى بحق فى حق فلا تخربوه وانصروه ووقروه وعزروه فإنه إلى هذه المنزلة الشريفة الإشارة بقوله سبحانه:

﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

ولما وقع الاعتراض عليه جعل المعترضـين سجدًا بين يديه فاختص بخزى الأبد من أبى عن السجود حين بادر. امتثل الأمر وسجد، وكفى بهذا للإنسان فكيف إذا انضاف إلى هذا كونه على صورة الرحمن فله الفضل على جميع الوجود بالصورة والسجود فبالصورة صحت له الإمامة. وبالـسجود صحت له العلامة، حين يشهد الحق له إنه عـلامة. ولما كـان الأمر على هذا التـرتيب وأعطت الحكمـة على هذا التقريب كذلك هذه النشأة الإنسـانية، والنكتة الربانية فيها أئمة كمـا فيها أمم، أمة فوق أمة إذ كـان أم الكتاب وحضرة اللباب. والروح الفـكرى إمام والروح العقلى إمام والروح المصور والـروح الخيالى والروح الوهمى أمام الحواس أئـمة ولكل إمام من هذه الأئمـة أمة والإمـام الأكـبر، والنور الأزهر، والقلـب المقدم على عـالم الشهادة والغيب وهو القدسى، والإمام القدسى وإليه أشار ﷺ يقول:

«إن فى الجسـد مضغـة إذا صلحت صلح الجسـد وإذا فسـدت فسد الجـسد ألا وهى القلب»[1].

فإن كان صـالحًا فروح قدسى وإن كان غـير ذلك فشيطان غوى، فـالرعية على دين الإمام سواء فى عالم البسائط أو عالم الأجسام فإمام الإنسان هو الذى قال فيه الرحمن فى الحديث القدسى:

(ما وسـعنى أرضى ولا سمائى، ووسعنـى قلب عبدى) حين ضـاق عن حمل تجليه الأرض والسماء واستحال عليهما الاتصاف بالأسماء فصار قلب العارف بيت الحق ومقعد صدق فقد ثبت الإمام جمـعًا وأتى الناس إليهما كرها وطوعا واعلموا أن المبايعـة لا تقع إلا على الشرط المشروط والعـقد الوثيق المربوط كل مـبايع على

(١) رواه البخارى فى صحيحه ١/ ٢٠.

قدر عزمه ومبلغ علمه فقد يبايع شخص على الإمامة وفى غيره تكون العلامة، فتصبح المبايعة على الصفات المعقولة لا على هذه النشأة المجهولة فيمد عند تلك المبايعة الخليفة الناقص فى ظاهر الجنس الخليفة المطلوب يده، من حضرة القدس، فتقع المبايعة عليها من غير أن ينظر ببصره إليها، ولذلك يقع الاختلاف فى الإمام المعين لا فى الوصف المتبين فقل الخليفة تجمع القلوب عليه ولا سيما إن اختل ما بين يديه فقد صحت المبايعة لخليفة وفاز بالرتبة الشريفة وإن توجه اعتراض فلا سبيل إلى القلوب المنعوتة بالمراض، ولما كان الحق تعالى الإمام الأعلى والمتبع الأولى قال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]

ولا ينال هذا المقام الأجسم بعد النبى المصطفى الأعظم إلا ختم الأولياء الأطول الأكرم وإن لم يكن من بيت النبى فقد شاركه فى النسب العلوى، فهو راجع إلى بيته الأعلى لا إلى بيته الأدنى.

*****

نكتة الشرف فى غرف من فوقها غرف

وكان ولى وفقه الله يقول قولا قياساً شهادة وإحسانًا لم يكن الختم من بيته ومستخرجًا من نسبته حتى يكون الشرف بالنسب الأكمل، وأتم للمنصب الشريف وأفضل، ولو كحل هذا القائل عينه، وتحقق فيه، ورأى سلمان رضى الله عنه ملحقًا بأهل البيت لعرف أن المراد ليس فى البيت(١):

فمن شرف النبى على الوجود ... ختام الأولياء من العقود
من البيت الرفيع وساكنيه ... من الجسم المعظم فى الوجود
وبينتى الحقائق فى ذراها ... وفضل الله فيه من الشهود
لو ان البيت يبقى دون ختم ... لجاء اللص يفتك بالوليد
فحقق يا أخى نظرًا إلى من ... حمى بيت الولاية من بعيد
فلولا أن تكون فى أبينا ... لما أمرت ملائكة بالسجود
فذاك الأقدسى أمام نفسى ... يسمى وهو حى بالشهيد
وحيد الوقت ليس له نظير ... فريد الذات من بيت فريد
لقد أبصرته حقاً كريمًا ... بمشهده على رغم الحسود
كما أبصرت شمس البيت منه ... مكان الخلق من حبل الوريد
لو ان النور يشرق من سناه ... على الجسم المغيب فى اللحود
لأصبح عالمًا حيّاً كريمًا ... طليق الوجه يرفل فى البرود
فمن فهم الإشارة فليصنها ... وإلا سوف يلحق بالصعيد
فنور الحق ليس به خفاءٌ ... على الأفلاك فى سعد السعود
رأيت الأمر ليس به توانٍ ... سواء فى هبوط أو صعود

---

(١) فى الحديث «سلمان منا أهل البيت» رواه الطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرك.

نـطـقـت بـه وعـنـه ولـيـس إلا وأن الأمـــر فـــيـــه عـلى المزيد
وكـــونى فـى الوجـــود بلا مـكان دليـل إننـى ثوب الشـــهـــيــد
فـمـا وسـع السـمـاء جـلال ربى ولكن حـل فى قلب الـعـبـيـد[1]
أردت تكـتـــمـــا لما تجـــارى إليـــه الـفكـر من بـيض وســود
وهل تخـشى الذئاب عليـه من قـد مـشى في القـفـر فى عـقـر الأسـود
وخـاطبـت النفيسـة من وجـودى على الـكشف المحـقق والشـهـود
أبعـــد الكشـف عنه لكل عـــين جـحدت وكـيف ينفـعنى جحـودى
فـردت فى الجـواب عـلى صـدقًـا تضـرع للمـهـيـمن والشـهـيـد
وسلـه الحـــفـظ مـــا دام الـتلـقى وسله الـعـيش للزمـن السـعـيـد
ســألتـك يا عليم السـر مـتى عــصـــامًـــا بـالمودة فـى الودود
وإن تبـقى عـليَّ رداء جـســمى بكعـبـتكـم إلى يوم الصـعـود
وإن تخـــفـى مكـانى فـى مكـانى كـمـا أخـفـيت بأسك فـى الحـديد
وتســتـر مـا بـدا منى اضـطـرارًا كـسـتـرك نور ذاتى فى العـبـيـد
وإن تبـدى على شـهـود عـجـز بتـوفـيـقى مـواثيق العـهـود

وسيبدو لك أمره ويتضح لك سره ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤] فالتحق بالسميع البصير وتحقق بالعجز والتقصير فلنذكر الآن نسختك من هذا الخليفة البيتى الإمام ثم اختم نسختك من ختم الأولياء الكرام والختم يكون التمام.

النكتة المؤخرة فى الدرة المدخرة

ولما جـل عـتـبى حل عـيـبى على عـينى فـصـيـره عـديمًـا
وعنـد شـهـود ربى حـل حـبى على قـلبى فـصـيـره عـديمًـا

(١) والمقصود أن الله تجلى بالعلوم والعوارف ربانيًا على قلوب من اختارهم من صفوة عباده وفى الحديث القدسى: «ما وسعنى أرضى ولا سمائى وإنما وسعنى قلب عبدى المؤمن».

ولما فــاح زهـرى هب ســـرى على نورى فـصيـره هشيــمـا[١]
ولـمـا اضـطـر أهـلـى لاح نـار من الرحـمن صيـرنى كليـمـا[٢]
ولما كنت مـخـتـارًا حـبـيـبًا وكـان براق سـيـرى بى كـريـمًا
مـطـرت ولـم أبـال بـكـل أهـل نزلت فـكنت رحـمـانًا رحيـمـا
وكنت إلى رحـيم البـعـد نجـمـا دوين العــرش وقـادا رجـيـمـا
ولما كنـت مـرضـيّـاً حـصـوراً[٣] وكـان أمام وقت الشـمس ميمـا[٤]
لحظت الأمـر يـسـرى من قـريب على ذكـره يصـيـره رمـيـمـا
وكنـت به كـفـرد بعـد ست لعـام العـقـد قـوامًـا عليـمـا
فلو أظـهـرت مـعـنى الدهر فـيـه لأعـجـزت العبـارة والرقـومـا
ولكـنى سـتـرت لـكون أمـرى مـحـيطًا فى شـهـادته عظيـمـا
فـسـتـرت الأمـور بكل كـشف لعـين صـار بالتـقـوى سلمـيـا

(فصل)

ولما تكلمنا على الشرف النبـوى الأجلى من طريق البيت الأعلى حتى نستـوفيه فى آخر الكتاب من غيـر اختصار ولا أسباب، ولكن يسيـر ألفاظ جزئية تدل على معانى كلية.

(فصل)

كذلك للإنســان نسبتان وله فى العــالم منصبان فـأشرق نسبه وأعلى منصـبه أن ينتسب للحق لا لوالديه وإن يقيم سره أبدًا «خـديمًا بين يديه» فإذا صحت له هذه

(١) الهشيم البالى والهالك.

(٢) أراد أن يقول صرت فى حـضرة القرب من التجلى الإلهى المتـمثل نارًا لنبى الله موسى عليه السلام مـشيرًا للآيتين ﴿وهل أتاك حديث موسى * إذ رأى نارًا فقال لأهله امكثوا....﴾.

(٣) الحصور «السيد الشريف الوقور».

(٤) أراد معنى الرقم لحرف الميم وعدده ٤٠.

الرتبة وفاز بأعلى درجة القربة وتصرف عن سماع الإذن المتعالى صرح له النسب العالى فكان إذ ذاك عبد الله ابن فلان، وإماما يقتدى به الثقلان.

(فصل)

ولما قدمنا شرف البيت الأعلى إذ كان الأشد والأولى أردنا أن تتميز الرتب بالأخذ فى شرف النسب الذى يتعلق به الوارث الحسى، والعرض النفسى.

(فصل)

كذلك صح التقدم لعالم غيب الإنسان على ما فيه من نسب الحيوان فهو محركه ومصرفه ومنبهه ومعرفه. ولكن احتجب عن أكثر الناس عالم غيبهم بما ظهر. فلذلك حرموا اكتساب الآلئ. واقتناء الدرر وحيل بينهم وبين الأسرار. وضرب بينهم وبين الأسوار. وضرب بينهم وبين مطلع الأنوار بظل هذا الجدار وإن كان له وجود شريف وسر لطيف. سأنبهك عليه وأندبك إليه وأعرف لأن الورث ورثان كما أن العالم عالمان فالورث الأعلى فى العالم الأجلى ورث أسرار وتجليات الأنوار والورث الأسنى فى العالم الأدنى ورث استخلاف على أمصار وتعبد أحرار.

(فصل)

ولما كانت الشمس لابد لها من تحول مطلعها وتبدل موضعها كذلك لابد من طلوع شمس حقك على ظاهر خلقك واعلم أن الشمس لا تزال جارية من المغرب إلى المشرق بنفسها كما لم تزل جارية من المشرق إلى المغرب بغيرها غير أن البصر قاصر واللب حائر. فلابد لها يومًا أن تظهر حركتها وتعطى بركتها فمن جاء أجله المسمى ولم تغفر حوبته فقد أغلق باب تربته وطلعت شمسه من المغرب ولا ينفعه إيمان ذلك الوقت مالم يكن أمن وهو قوى مستبصر فإن الله تعالى يقبل توبة عبده ما لم يغرغر[1].

---

(١) المعنى ما لم يأته النزع الأخير عند خروج روحه.

(فصل)

ولما كان هذا الأمر هو الكنز الخفى بالبحـر الغربى أشار إلى أن القلب هو مقعد الصدق ومحل أسرار الحق وهو البحر المحـيط والمعبر عنه بالعالم البسيط عنه تكون المركبات ومنه تصدر الحركات والسكنات.

(فصل)

وأما إن قال ولا يعرف ذلك الكنز إلا من كان روحا لا جسما وعلمه الحق من لدنه علمًا وانبـعث من كان كليمـا فى طلبه ليعـرف شرف مذهبه وأظهـر المعروف المحمود فـى المنكر المشهود وجاء بثـلاثة أفعال من المقام العـالى ففعل إضافـة إليه وفعل إضافة إلى الحق وفعل شرك فى العبارة عنه بين الحق والخلق(١).

(فصل)

كأنه أشار إلـى أن الإنسان ما دام فى نفسـه البهيميـة ملاحظاً لنفسه النـباتية لا يتجلـى له أمر ولا يبدى له سـر فإن ارتقى عنه درجـة الأجسـام. وزال عن عالم الأوهام والتحق بمقام الإلقاء والإلهام أتعب فى طلبه علماء الأحكام، فصار شاهده يطلب غائبـه ليعرف مقاصـده ومذاهبه، فإنه وقع عـليه قيده بشرطه واسـتوثق من عقـده وربطه، فأبدى له من المعانى ما ينـفر عنه طبعه ويرد عليـه شرعه فيـذكر، ويعلم أن الله قد أنبأ بصـدقه وقدر، فهذه علـوم الآداب والحكمة، وباب التواصل إلى حضرة الرحمة(٢).

(وصل)

ولما قال فـالذى يعرف حقـيقة ذلك الكنز ومـحل النجاة والفوز يقـيم جداره، ويسكن داره ولا يطلب أجرًا ويحدث لمن أنكر عليه منه ذكرًا(٣).

---

(١) أى أن يعايش العبد الربـانى علم اللدن وهو العلم الباطن المفاض عليه من حضرات التـجلى معاين للحق بالحق وما للخلق بالحق فرقا وعاين المزج بين الحق والخلق جمعًا.

(٢) أى أن الإنسان الكامل السلوك إلى حـضرة ملك الملوك لابد أن يكون مغنى عن الجـسم والنفس واللطافة والحس والغد والأمس لينعم بالأنس فى حضرة القدس.

(٣) أى أن الذى نال المعرفة بتلك الحقائق العلية عليه بشكران ربه لما أفاء عليه من فضله وحبه.

(وصل)

أشار إلى كتمان الأسرار من جانب الجبار لينظر أهل الإنكار فيصح منهم الاعتذار، ونسى بما فى طى هذه الأخبار.

(فصل)

ولما قال بلغ اليتيمان أشهدهما وتوفى الأدوار أمدهما يظهر الكنز[١]. وتقوم دولة العز.

(وصل)

كأنه يقول فإذا بلغ الروح العقلى منتهى، وبلغ الروح الفكرى غاية فكره، ووفت الأدوار الفلكية أربعين أخلاصها وشركت بين تقدمها فى ذلك ومناصها جاء الروح القدسى أميرًا واتخذ الروح العقلى وزيرًا والفكرى سميرًا، والحيوانى سريرًا.

(فصل)

ولما قال وتشرق من الذى إشراقه تقوم دولته وتعقد عليه أزرته. ويظهر العدل، ويكون الفضل، ولكن إلى الشرق رجوعها، بعد ما ينقضى من الغرب طلوعها.

(وصل)

كأنه يقول وإذا كان السر من قلب طالعًا فقد كان فيه غاربًا ولكن كان غروبه طلوعًا من ذلك الأفق العلى، وغروبه طلوعًا من ذلك الأفق العلى، وغروبًا من المقام الأعلى. ثم قد يكون طلوعه من الأفق النفسى يكون غروبًا من الأفق السفلى.

(فصل)

ولما قال فإذا ظهر الأمر فى مجمع البحرين[٢]، ولاح السر المكتم لذى عينين، كأنه يشير إلى ظهور النكتة الربانية، فى هذا النشأة الإنسانية فإنه مجمع البحر الآن

(١) المقصود بالكنز الإمام المهدى عين ذات الولاية وختمها.

(٢) يقصد بحر النبوة والولاية.

والكون والعين وقوله فى عينين، يـشير إلى صاحب الصفتين، فمن فـهم فقد فاز فوزًا عظيما، وكان بالله عليما.

ولما قال وقـام سمى النبى[1] وعن يمينه سـماه الولى وذلك عندما ينعـدم الخاء ويخط الألف فى السماء ويجرى وادى منى ويظهر الإنسان فى الماء وتكون الشمس فى الجوزاء فإذا استـوى الفلك على الجودى وقيل: ﴿بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] وقيل السفيانى[2] وصار من الفاسقين ونادى الأب ابنه وقيل له ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦].

﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

(وصل)

أشار بذلك إلى الورث النبوى، والمقام البـرزخى ورفع الحجاب الإلهى فى قتل السفيانى وتحصل المراكب الإحشائى على الجودى الأنبائى.

(فصل)

ولما قال وكانت علامة أيمن الخد وكونه يمين الواحد فمن ثبتت له تلك العلامة فقد صحت الإمامة.

(فصل)

ولما كـانت المبايعـة لهذا الإمـام بين الركن والمقام وليس له وراءها مـرمى لرام.

---

(١) يقصد به المهدى.

(٢) عن أبى هريرة رضى الله عنه قـال: قال رسـول الله ﷺ: «يخرج رجـل يقال له السـفيـانى فى عمق دمـشق وعامة من يتبعـه من كلب فيقتل حتى يبقر بطون النساء ويقـتل الصبيان فتجمع لهم قيس فـيقتلها حتى لا يمنع ذنب تلعة ويخرج رجل من أهل بيـتى فى الحرم فيبلغ السفيـانى فيبعث إليه جندًا من جنده فـيهزمهم فيسير إليـه السفيانى بمن معه حتى إذا جاز ببداء من الأرض خسف بـهم فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم»، كتاب الفتن.

وفى حـديث آخر «يظـهر رجل يقـال له المنصـور بن ربيـعة يفـتك بالسـفيـانى طوبى لمن حـضـر غنيمـة السفيانى».

(فصل)

كذلك إذا كان واقفًا بين مقام الخلة، وركن من رام بأضيافه سد الخلة الذى قال فيه ﷺ فى صحيح الخبر «رحم الله أخى لوط لقد كان يأوى إلى ركن شديد»[١] خطابًا لجميع البشر، هنالك يوصف بعند ذى العرش مكين. مطاع ثَمَّ أمين، وتعقد له مبايعة التعيين فى الحرم المنيع والبيت الرفيع.

(فصل)

ولما كان فتح المدينة التى هيأتها هكذا بالتكبير والتهليل، وفى مقدم العسكر جبريل، وقد عطف اللواء المشرق نحو بلاد المشرق، ورياح المغرب تزعجه، وبشائر الفتح تلهجه والملائكة به حافون، وعليه ملتفون وأمامه مصطفون.

(وصل)

إذا فتح العارف مدينته الكبرى بالمجاهدة والمعاناة والمكابدة وارتقى إلى فتح مدينة الرسول ففتحها بالتهليل وذلك بتنزل الروح الأمين من ربه على قلبه بسرائر غيبه والملائكة من بين يديه ومن خلفه رصدًا فحينئذ يرجع من حيث جاء مسرورًا، وقد ترك البلاد ديورًا: فتحقق وتخلق والله الموفق.

(فصل)

ولما قال فإذا أخذت فى هذا الرحيل، فاطو بساطك أيها الخليل وسر معه بما معك من كثير أو قليل فإن لم يكن عندك قوة مال، ولا طاقة لك بحمل العيال، فسر إلى معدن الإمام، ليحثوا لك من المال[٢] إن استطعت أن تحمله، وذلك أيضًا له علامة مع جلى الجبهة وقنى الأنف[٣] وسيرته فى الملك بين اللين والعنف، فاصحب ذلك الركب المحفوظ المصان الملحوظ، فإنه لا خير فيما تبقى بعده، ولكن الخير أمامه وعنده.

---

(١) عن أبي هريرة بإسناد صحيح رواه الحاكم فى المستدرك.
(٢) يشير بذلك إلى حديث النبى ﷺ الذى قال فيه «يحثى الذهب فى زمانه حثوًا» أى من غير حساب.
(٣) أى أنف عال مرتفع.

(وصل)

كذلك العارف إذا نزل روح قدسه إلى فتح مدائن نفسه، ورجع إلى حضرة أنسه، لزم الجوارح أن يرجعوا وراءه، ويلازمون تلقاءه فإن افتقروا استمدوه، وإن غير عليهم استعدوه.

(فصل)

وبعد انقضاء هذه الدول، يخرج الأعور[1] متى نزل، فيميت بإذن الله فتنة ويحيى ما أمات، وينزل الله الغيث ويخرج النبات، وتأتى إليه الأموال، وينعقد عليه الآمال، إلا من تحصن وتصبر، وأكل من الحشيش الحرث، حتى يأتى الأمر الآكد، فيقتله عيسى عند باب لدّ ويظهر دمه فى الحربة، ويسرع إلى الحصار بالأوبة ويخرج من وراء السد بأكثر عدد وأقوى هدد، فيدعو عيسى ابن مريم عليه السلام على أولئك الأمم، بعد ما لم يتركوا بالأرض ديارًا وأرسلوا السهام فى الجو ليقتلوا من فى السماء فيردها سبحانه عليهم مخضوبة بالدماء فيسلط الله فى ليله ذا النغف فى أعناقهم فيموتون فى ليلة إلى آخرهم. ثم تخضر الأرض ويكثر الزرع وتعظم الثمر، وتظل الرهط الكثير الشجرة وتحيا الشريعة المحمدية، وتظهر الحقيقة الأحدية إلى أمد معلوم وقدر محتوم، وتنفخ دابة وتطلع شمس ولا يقبل عند ذلك إيمان نفس والله يعصمنا من غوائل الفتن ويصرف عنا وجود المحن آمين.

*****

(١) المقصود المسيح الدجال عليه اللعنة وقد استعاذ منه النبى ﷺ فقال «اللهم إنى أعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة القبر ومن فتنة المسيح الدجال».

نكتة تمام الأنبياء فى تعيين ختم الأولياء

وهو النسب الأعلى الذى تقدم ذكره فى نكتة الشـرف، جهل من جهل وعرف من عرف، ولما أشار من إشارته علم وطاعته غُنم، وهو الذى يلقى الأمور ويشرح الصدور، كـان علىَّ أن أنبه على تعيـين هذه النكتة وأن تأتى بها كـالساعة بغـتة، وذلك لتوفير داعـيه من إذن واعيه، فلابد من بسطها وحل مـا قوى من ربطها وما ذكره الله تعالى فى كتابه فى هذا الخـتم من الأسرار وما ورد عن النبى ﷺ فيه من الأخبار وورد الأمر بأن أذكـر من الكتاب العزيز مقاماته وآياته ونلغـز أيضًا أسماءه وصفاته، فـاعلم أيدك الله بكلمه، ووهبك معالم حكمه، وأوضح لك سـر قدسه أن الختم الذى يحمل لواء الولاية، ويكون المنتهى للمقام والغاية. أنه قد كان ختمًا لا يعرف وكان له الأمر لا يرد ولا يصرف فى روحانية متـجسدة وفردانية متعددة، ختم أمرًا جسيمًا فاستتر وختم أمرًا مقاميّاً فظهر، وإن ظهر بعد ولى فليس له المقام العلى، فإن من جـملة أعدائه أتباعه وصحـابته وأشياعـه ألا ترى الأمر الإلهى قد حكم، ونفذ تقديره وحتم فصير من كان نبيّاً عندما بعث ﷺ وليّاً بحسن الاستماع حكم الاتباع والتحق بالطاعة. وكان من بعض أطوار القيامة لذلك جرى الحكم فى هذا الولى الآتى بعـد الختم العلى، فليس الختم بالـزمان وإنما هو باستـيفاء مـقام العيان، وإن كـان لابد أن يقارن حركة فلك هى زمانه، ووقـته وأوانه فينسب إلى الزمان من هذاالجانب، وهكذا أمره فى سائر المذاهب.

*****

إفصاح الكتاب العزيز بمقاماته
والإعلام بأحواله وآياته

واعلم أن الله تعالى ذكر الختم المكرم، والإمام المتبوع المعظم. حامل لواء الولاية وخاتمها، وأمام الجماعة وحاكمها وأنبأ به سبحانه فى مواضع كثيرة من كتابه العزيز تنبيهًا عليه وعلى مرتبته ليقع التمييز فإن الإمام المهدى، المنسوب إلى بيت النبى ﷺ. ولما كان إمامًا متبوعًا وأمرًا مسموعًا ربما اشتبهت على الدخيل صفاتهما واختلطت عليه آياتهما وأما عيسى عليه السلام فلا يقع فى آياته اشتراك، فإنه نبى بلا ريب ولا ارتباك. ولما كان الختم والمهدى كل واحد منهما ولى ربما وقع اللبس وحصل التعب لدواعى النفس، فلهذا الأمر الكبار ما نبه عليه لأهل البصائر والأبصار وأما العوام فليس لنا معهم كلام، ولا لنا بساحتهم إلمام، فإنهم تابعون، لأسمائهم مقتدون بأمرائهم، والأمراء والعلماء يعرفونه، ويقتفون أثره ويتبعونه حتى إن عيسى عليه السلام ليذكره فيشهد له بين الأنام، وأنه الإمام الأعظم والختام. لمقام الأولياء الكرام، وكفى بعيسى عليه السلام شهيدًا، وإن وراءكم له عقبة كؤودًا. لا يقطعها إلا من ضمر بطنه وسهل حزنه، فموضع نبه عليه سبحانه أنه سيظهر على أوليائه وينصر على أعدائه، وذلك فاعلم.

وهذا فصل يحتوى على مولده ونسبه ومسكنه وقبيلته وما يكون من أمره إلى حين موته واسمه وأسماء أبويه مما تضمنه نص القرآن الصحيح والخبر الواضح الصريح فأما القرآن فتضمن ذكره وذكر أخيه، وأما الخبر فيعم ذكره دون أخيه إلا فى موضع واحد فذكر مع متبعيه، وتتبعت مواضع التنبيهات عليه والتنصيص فى القرآن فوجدته كثيرًا لكن على تقاسيم البرهان فمنها فى البقرة موضعان: فيها علاماته، ومكانته وآياته فى آل عمران أربع مواضع الاعتناء به قبل وجود عينه، وتقويم شرفه قبل كونه وآثاره الحميدة، وأفعاله المشهودة وإلحاقه بالنقص والحط والنقض، والحل بعد الشد والربط، ومسكنه الذى لا تغيره الذاريات، ولا تجهله التاليات، أوجب التصديق به خالقه، وأودعه فى الشرع واثقة.

وفى النساء أربعة مواضع، التحق بعـضها بصاحب النور وتنزه فى ذاته عن قول الزور، ومناجاته مع إخوانه، وجولاته فى ميدانـه أفرده بالصدق فى نطقه، مناسبة بينه وبين خلقه، جاء حرف تنبـيه، لا تبعيض فأبانه وأظهر للعقـول السليمة منزلته ومكانه، ثم ذكره بما دل عليه أبو يزيد[١] فى مناجاته بسـماء التوحيـد وشاركه فى أوضح الأسماء، صاحب سورة الإسراء.

وفى المائدة فى ثمانية مواضع علمـه الراسخ ومنصبه الشامخ، ونوره الأوضح، وسره الأفصح ونصحه وتحريضه وتخـصيصه وتحضيضه لاطه[٢] بالأنقص بتصريح النص، لتكميل علمـه وتنقيح فهـمه، خاطب الحق عبـاده على مقوله، كمـا فعل بأنبيائه ورسله، وذكره بالأفـعال الغيبية فى العين، ورده من عـالم البقاء إلى عالم لبس الكون.

طولب بحظه الأعلى من المقامات العُلَى، فألحق بالسفلى وبالعدول عن الطريقة المثلى، اتحد سـره بربه، تعشقـًا لانسلاخ زمان قـربه، فأراد الرجوع عن مـدركه، والسلوك على منهـجه، فنودى فى الأعنان فى عرصـات الكيان بلسـانك الشرك. والبراءة من الإفك، فوجد واستشهد وسجد للواحد الأحد.

وفى الأنعام مـوضع رتقه[٣] رتقا لا يفـتق، وجعله خلقـًا لا يخلق وفى براءة موضع لما وقف على حقيقة شرف نفسه.

فلطه يسر من جنسه، وفى مريم موضعان، توج فساد وأخمد نار العناد.

وفى الأنبياء موضع زكى فتزكى، ونودى فلم يتلكا.

وفى المؤمنين تشام فربع وأخصب ورتع

وفى الصافـات عرض بأخـيه مع جـملة بنيه، ،وفى الشـورى موضع مـهد له السبيل وعرف أسباب التنزيل.

وفى الزخرف موضع نبه على مقامه تنبيهًا لا يرد ببرهان لا يصد.

---

(١) هو أبو اليزيد البسطامى.

(٢) لاطه بمعنى خلطه ومزجه الولى الكامل طيفور بن عيسى رضى الله عنه وأرضاه

(٣) الرتق هو الالتصاق والتماسك.

وفى الحديد موضع الحق باليًا، ولم يصح أن يكون متلوًا فكان صديقًا وليًا فإن النبى هو المتلو لا التالى والولى هو المولى عليه ليس الوالى، وفى الصف موضعان قيل عنه فقال وردد ذنبه فزال المطال.

وفى التحريم حرم، وأقر له بالمقام وسلم، وأما الخبر الصحيح فى مثل البخارى ومسلم.

فانظروا ما أشار إليه ابن بطال وصاحب كتاب المعلم إلى غير ذلك من الآيات البينات، وأما النبى محمد ﷺ فإنه اجتمع به فى الأرض [1] التى خلق منها آدم عليه السلام، وفى هذه الأرض من العجائب ما يعظم سماعه، ويكبر استشياعه، وقد ذكرت هذه الأرض وما فيها من العجائب وما تحويه من الغرائب، فى كتاب أفردته لهما سميته.

«بكتاب الإعلام بما خلق الله من العجائب فى الأرض التى خلقت من بقية طينة آدم عليه السلام» واعلموا أن زمانه أربع من صورة العقود الأول على ما حسب ما خط فى الأزل فكان العام الأول كشهر والعام الثانى كجمعة، والعام الثالث كيوم، والعام الرابع كساعة، وما بقى من الأعوام كخطرات الأمانى والأوهام، وإنه زائل عن مرتبته بختمه، وظاهر بعلم غيره لا بعلمه وجار فى ملكه على خلاف حكمه، ولولا ظهر بهذا العلم، وحكمه بهذا الحكم، ما صح له مقام الختم ولا ختمت به ولاية، ولا كملت به هداية، وإن له حشرين، ولصبحه فجرين، ولوجهه نورين، وفى حفظه علمين وله عالمين يشركهما فى حكم، ويخص أحدهما بحكم، فهو صاحب حكمين «وهو من العرب لا من العجم» آدم اللون أصهب أقرب إلى الطول منه إلى القصر، كأنه البدر الأزهر اسمه عبد الله وهو اسم كل عبد الله، وأما اسمه الذى يختص به فلا يظهر فيه إعراب، وينصرف فى صناعة الأعراب أوله عين اليقين، وآخره قيومية التمكين ونصف دائرة الفلك من جهة النصف الذى هلك لا يدع باسم سواه ولا يعرف أباه إن وقف قلت سرولة وإن مشى مشى بين السعى والهرولة مرضى القول مشكور الفعل وهذا هو فاعلمه.

(١) هى أرض السمسمة التى خلقها الله من بقية طينة آدم عليه السلام وإن كوننا هذا لا يساوى بها ريشة فى الفضاء.

فينا قد وضحت لك فيه الدليل، ومهدت لك السبيل،

وأغلقت عليك بالنص باب التأويل، وعينته لك باسمه ونسبه

وسره الشريف ومنصبه وإن الصديق الأكبر تحت لوائه، وأنه سيد الأولياء كما أن سيدنا سيد أنبيائه وإن شئت أوضحه لك فى العدد، وأقسم لك بهذا البلد، إنه للسيد الصمد فانظره فى ثلاثين عددًا، وكن لشيطان جهلك شهابًا رصدًا، فإن لم تقو على التفسير، فعن قريب يأتيك بقميصه البشير فيكشف كروبك ويرتد بصيرًا يعقوبك، هو شق فى خلقه، وسطر من جهة خلقه وحقه، فانظر هناك تجده أباك، وأما الختم فى حق الإنسان فهو عبارة عن المقام الذى لا ينتهى بك إليه، ويقف عليه وكل سالك حيث وصل ومقامه حيث نزل، فلا يتعين فيوقف عنده، «ولا تظهر المعارف لنا حده ولكن ختم المقامات التوحيد وأسرار الوجود فى مزيد.

اللؤلؤة اللاحقة بالياقوتة السابعة

ولما كانت القطوف دانية فى انعطاف القرون الثلاثة المتوالية وكان قطف فوق قطف، وعطف فوق عطف، وانتهى الأمر، وقيل ما بقى خير ولا أمر واستمسكوا بحديث النبى ﷺ حين بلغهم عنه «أنه ما ينقضى زمان إلا ويأتى شر منه» وغفلوا عن القرن الرابع الآتى بعد الثلاثة الذى هو زمن المهدى، والختم الولى، ونزول عيسى النبى، وذلك أنه لما انتهت القرون الثلاثة ودخل صفر، ظهر الفساد فى البشر، وتوالت أدوار النحوس فى الأكر، إلى أن دخل رجب الفرد الملحق بأول الثلاثة السرد فالتحق بأصحابه وتميز فى أبوابه.

والتحمت القرون، بظهور السر المصون، ولما كان ذو الحجة وسط الثلاثة المحرمة وكان من أعظم الشهور المعظمة.

إذا كان شهر رمضان التبعات، والمغفرة لأهل عرفات، فهو الأول بالفضيلة، وهو الوسط بالدورة الربانية، والحكمة الإصلاحية فخذ روحانيته فى التقديم، وذلك من باب الحكمة لا التحكم فهو الأول، وإن كان وسطًا ولم أقل فى ذلك

شططًا ثم لما كان الترحيب والتعظيم التحق الآخر بصاحب التقديم، وهو الأصب والأصم، الملحق بالثلاثة الحرم.

لكن أقوى ما تقوم عليه الحجة الحاقة فى التعظيم بذى الحجة، وقد يكون الآخر بالجسم، يتقدم على الأول فى الحكم، ألا ترى أن النبى ﷺ مؤخر فى النشأة الدنياوية، مقدمًا فى النشأة الأخراوية، وإذا صح التقديم فالتساوى أحرى وبهذا أشار من جرى هذا المجرى، ألا ترى نص النبى ﷺ لأصحابه «عنكم للعامل منهم، أجر سبعين منكم فقالوا، بل منهم فقال: بل منكم»[1] فأكد بالعطف التفاضل فى النطف فانظر إلى عظيم هذا البذل وعميم هذا الفضل فإن احتج عليك الخصم الضعيف بمفاضلة المد والنصيف فاعلم أن للفاضلة أبوابًا وأن لها عند المفضل أسبابًا إذ هى راجعة إلى الزيادة والنقص بالحكم الاصطلاحى والنص، فقد فضل الواحد صاحبه بتكليم الله فضله الآخر بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وقد صح القول وتبين التساوى فقد فضلونا من غير الجهة التى بها فضلناهم وعرفونا بغير الدليل الذى عرفناهم وقد يقع الاشتراك بيننا فى الصفة، ويجتمع فى بعضهم راتب المعرفة، فإذا تحققت التفضيل فقد فتح لك فى التفضيل وساغ لك التأويل.

ولما كان ذو الحجة أوان الفضل والتعيين حملنا ما بعده من الشهور على المتين من السنين فكان طلوع بعد انقضاء الخاء من حروف الهجاء وكان ميلاده انقضاء الضاد والباء بعد ميلاد الإنشاء، وانتظام الأجزاء، ولعل الناقد يدخل البابع فى العلم فقل له ذلك أوان الحكم فى دولة العز، بظهوره عند انقضائه، وجود ختم أوليائه، عند فناء العدد الوتر، المذكور فى الشعر.

تمت بحمد الله وعونه

---

(١) إتحاف السادة المتقين ٥/ ٢٠٥.

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع بدار الكتب : ١٩٧٨٢ / ٢٠٠٥